

الصهيونية العالمية

تاريخها، مراحلها،

وخطورها

تأليف

د/عبد الرقيب الراشدي



من الذكر الحكيم

قال تعالى: {وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}

[البقرة: ١٣٥]

وقال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين}

[سورة المائدة : ٥١]

الإهداء

إلى أبطال طوفان الأقصى، ممّن قضى نحبه أو
ممّن ينتظر، الذين هزوا عرش الصهيونية
العالمية، وأفشلوا مخططاتها الخبيثة على أرض
فلسطين، الذين كتبوا التاريخ بدمائهم، ورسوموا
المستقبل بأرواحهم، الذين أظهروا للعالم أن قوة
الإيمان لا تهزم، وأن صمود العقيدة لن ينكسر.
من قدموا التضحيات الكبيرة من دماهم وديارهم؛
ابتغاء ما عند ربهم، فحموا المسجد الأقصى،
ودافعوا عن فلسطين، وأثبتوا أن الصهيونية
العالمية لن تحقق أهدافها في أرض فلسطين
بإذن الله تعالى، إلى هؤلاء الأبطال، اهدي هذا
الكتاب؛ تقديراً لثباتهم، وحباً لمقاومتهم.

تقديم

الدكتور مكين عبده غالب سعيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

لا يمكن فهم الحاضر الذي نعيشه، ولا استشراق المستقبل الذي ننتظره، دون الغوص في أعماق التاريخ وتفكيك المرتكزات التي قام عليها (الكيان الإسرائيلي) في قلب أمتنا العربية والإسلامية. إن نشوء هذا الكيان لم يكن وليد صدفة عابرة أو مجرد حدث سياسي طارئ، بل هو نتاج تداخل معقد بين غياب الوعي الداخلي من جهة، وتدبير عقائدي وسياسي محكم من جهة أخرى.

أولاً: الوهن الداخلي وغياب الرؤية والتغافل عن المخططات التي تحيكها الصهيونية العالمية سرا وعلانية تعد فجوة تاريخية أتاحت لهذا المشروع أن يتمدد؛ فالعامل الأول في نشأة هذا الكيان يكمن في حالة (التخاذل والتقصير) التي سادت الجانب العربي والإسلامي. هذا الوهن لم يكن عجزاً مادياً فحسب، بل تمثل في انعدام الوعي الاستراتيجي؛ أي القصور في إدراك حجم المؤامرة ومستواها، والابتعاد عن الرؤية القرآنية الصحيحة لطبيعة الصراع وضعف الشعور بالمسؤولية التاريخية على المستويين الرسمي والشعبي، مما جعل التحركات المضادة محدودة ولا ترقى لمستوى التحدي.

ثانياً: التحالف العقائدي (الصهيونية المسيحية) إذ ينتقل بنا البحث في طيات هذا الكتاب إلى (الجانب العقدي)، وهو الأخطر، حيث يحلل الجذور التي

عُرفت منذ القرن السادس عشر الميلادي مع حركة الإصلاح البروتستانتي. فقد أحدثت هذه الحركة تحولاً جذرياً في الفكر الغربي تجاه اليهود من خلال: تهويد الثقافة: تحويل (العهد القديم) إلى مصدر وحيد للتاريخ، مما رسخ في الأذهان فكرة (الشعب المختار) والحق الأبدي المزعوم في فلسطين. ويتبع ذلك اختراق المجتمعات، والتغلغل في مفاصل الحياة السياسية والاقتصادية والإعلامية في الغرب لدعم الأهداف الصهيونية. وربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، وهو ما يفسر الدعم اللامتناهي من الإدارات الغربية المتعاقبة لهذا الكيان.

ثالثاً: الإمكانيات المادية والثبات الهوياتي

لا يغفل الكتاب أيضاً الإشارة إلى العوامل المادية والاجتماعية التي ساعدت على بقاء هذا الكيان وتأسيسه؛ فمن جهة، استغل اليهود قدراتهم المالية الكبيرة لتمويل الجمعيات والمنظمات الداعمة والتأثير على مراكز القرار، ومن جهة أخرى، حافظوا على (هويتهم) في بلدان الشتات دون ذوبان، مما جعلهم كتلة صلبة تتحرك نحو هدف محدد.

وهذه الدراسة التي كتبها الدكتور عبد الرقيب الراشدي تعرضت لجذور الصهيونية العالمية ومسيرتها وتحولاتها التاريخية، والهدف من هذه الدراسة وأمثالها هو إعادة صياغة الوعي الجمعي، وفهم أن الصراع ليس مجرد نزاع على حدود، بل هو صراع وجودي له جذوره وأهدافه وخططه ووسائله التي لا يتوانى القائمون عليه في سبيل تحقيقها، وهذا يستدعي من الأمة الوعي بذلك والعودة إلى هدى الله، واستنهاض الهمم، وفهم طبيعة العدو الذي نواجهه،

ومواجهة العقيدة بعقيدة أقوى منها وملاقة التحديات بما يناسبها. نسأل الله أن يكون هذا العمل منارة للبصيرة وطريقاً نحو التغيير.

مكين عبده غالب سعيد، دكتوراه في النحو والصرف

الجمهورية اليمنية،

محافظة إب

٤ اذوالقعدة ١٤٤٧، الموافق ١/٥/٢٠٢٦

تقديم

الأستاذ ابو صلاح الدين مرشد المزحاني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من أهم ما تحتاجه الأمة في هذا العصر معرفة القضايا الكبرى التي تمس حاضرها ومستقبلها، وفهم المخاطر الفكرية والسياسية التي تُحاك ضدها، حتى يكون الوعي قائماً على العلم، والمواقف مبنية على البصيرة لا على العاطفة أو الجهل. ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب القيم الذي بين أيدينا، والذي ألفه الدكتور عبد الرقيب عبده خالد الراشدي، متناولاً موضوعاً بالغ الحساسية والخطورة، وهو الحديث عن الصهيونية العالمية، وجذورها التاريخية، ومراحل تطورها، وأهدافها، وآثارها على الأمة الإسلامية والعالم أجمع.

لقد أحسن المؤلف في اختيار هذا الموضوع؛ إذ لم يعد الحديث عن الصهيونية مجرد تناولٍ لقضية سياسية عابرة، بل أصبح من الضروري دراسة هذا المشروع من جوانبه الفكرية والعقدية والتاريخية، وبيان الوسائل التي استُخدمت عبر الزمن لتحقيق أهدافه، وما ترتب على ذلك من صراعات واضطرابات واحتلال وظلم، وعلى رأسها ما جرى ويجري في أرض فلسطين المباركة.

ويمتاز هذا الكتاب بأنه لا يقتصر على عرض الأحداث المعاصرة فحسب، بل يعود بالقارئ إلى الجذور الأولى، مستعرضاً الخلفيات التاريخية للعلاقة بين

اليهودية والنصرانية، ثم ينتقل إلى نشأة الفكر الصهيوني الحديث، وكيف تحوّل من أفكار متناثرة إلى مشروع عالمي مدعوم سياسياً وإعلامياً واقتصادياً، حتى صار له أثر واسع في كثير من القضايا الدولية. كما يسلط الضوء على الأساليب التي استُخدمت في توجيه الرأي العام، والتأثير على القرارات، وإيجاد بيئات مساندة لهذا المشروع في مناطق متعددة من العالم.

ومن الجوانب المضيئة في هذا الكتاب أنه كُتب بلغة واضحة وأسلوب مباشر، يجمع بين السرد التاريخي والتحليل الفكري، مما يجعله قريباً من القارئ العام، ومفيداً للباحث والمهتم في الوقت نفسه. كما يظهر فيه حرص المؤلف على ربط الماضي بالحاضر، واستنباط الدروس والعبر من الأحداث، حتى لا تبقى القراءة مجرد استعراض للمعلومات، بل تتحول إلى وعي وفهم وإدراك.

والدكتور عبد الرقيب عبده خالد الراشدي من الأقلام الجادة التي تسعى إلى خدمة قضايا الأمة من خلال البحث والكتابة، ويبدو في هذا العمل ما بذله من جهد في جمع المادة العلمية، وترتيبها، وصياغتها في صورة نافعة تجمع بين الفائدة والرسالة الهادفة.

وإننا إذ نقدّم لهذا الكتاب، نوّكد أن الأمة أحوج ما تكون إلى مثل هذه الدراسات التي تبصرها بحقائق الصراع، وتكشف لها ما وراء الشعارات البراقة والدعايات المضللة، وتغرس في أبنائها الوعي واليقظة والاعتزاز بالهوية.

نسأل الله تعالى أن يبارك في جهد المؤلف، وأن ينفع بهذا الكتاب القراء والباحثين، وأن يجعله إضافة نافعة للمكتبة العربية والإسلامية، وأن يكتب لأمتنا العزة والنصر والتمكين، والله ولي التوفيق.

ابو صلاح الدين مرشد المزحاني

مفتش مالي واداري في مكتب التربية والتعليم بمحافظة اب

الجمهورية اليمنية

٣ ذو القعدة ١٤٤٧ الموافق ٢١/٤/٢٠٢٦م

المقدمة

منذ قيام دولة الاحتلال الصهيوني في أرض فلسطين عام ١٩٤٨م انحازت إليها معظم الدول الغربية انحيازاً كبيراً، فتولوا رعايتها والدفاع عنها في كل المحافل الدولية، وأحداث غزة التي شهدناها في وقتنا الحاضر أظهرت هذا التحيز جلياً واضحاً، فرغم كل الجرائم التي ترتكبها دولة الاحتلال الصهيوني في أرض فلسطين عامة وفي قطاع غزة خاصة، إلا أن معظم الدول الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، برروا للصهاينة جرائمهم، ودافعوا عنهم، وزودوهم بكل أنواع الأسلحة الحديثة والفتاكة، والتي أحرق بها الصهاينة قطاع غزة أرضاً وإنساناً.

ويظن كثير من العرب والمسلمين أن هذا التحيز، السافر من قبل معظم الدول الغربية، لدولة الكيان الصهيوني، سببه رأس المال الصهيوني المؤثر على المال الغربي، وبعض المسلمين يفسرون ذلك بسبب الآلة الإعلامية اليهودية التي تشكل الرأي العام الغربي، وغير ذلك من الأسباب التي قد يفسر بها بعض المسلمين سبب تحيز معظم الدول الغربية لدولة الاحتلال الصهيوني.

والحقيقة أن تلك الأسباب تبدو أسباباً ثانوية وسطحية؛ لأن هذا التحيز له أسباب دينية وعقدية، جمعت بين اليهود والنصارى، نتج عنها ما يسمى الصهيونية العالمية، رغم ما كان يدور بينهم من صراعات مريعة عبر القرون. فالصهيونية العالمية تعد ظاهرة تاريخية قديمة، لكنها اكتسبت زخماً جديداً في العصر الحديث، فمنذ القرن التاسع عشر، بدأت تظهر تيارات مسيحية تؤيد قيام دولة يهودية في فلسطين، مستندة إلى تفسيرات دينية وسياسية، وهذه

الظاهرة ليست مجرد موقف سياسي أو ديني عابر، بل هي حركة واسعة لها جذور تاريخية و عقديّة، وسياسية واقتصادية.

وفي هذا الكتاب، سنحاول السفر عبر التاريخ؛ لاستكشاف جذور الصهيونية العالمية وتطورها، وسنحلل المراحل التي مرت بها هذه الحركة وصولاً إلى عصرنا الحاضر، كما سنناقش خطر الصهيونية العالمية على المنطقة العربية والإسلامية وخطرها على العالم أجمع.

آمل أن يكون هذا الكتاب مرجعاً مفيداً للباحثين والمهتمين بمعرفة حقيقة الصهيونية العالمية؛ حتى يتسنى لهم فهم الأحداث الجارية في العالم من منظور واقعي بعيداً عن التهويل والتهوين.

وكتبه/ عبد الرقيب عبده خالد عبد الله الراشدي

دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

غرّة ذي القعدة ١٤٤٧ الموافق ١٧/٤/٢٠٢٦م

الجمهورية اليمنية، محافظة إب

للتواصل تلفون/ وأتساب ٧١٢٨٤٩٥٠٥

المبحث الأول:

الجزور التاريخية للعداء بين اليهودية والنصرانية

إن العلاقة بين اليهود والنصارى قائمة على الصراع، وقد قامت بينهم معارك مريرة عبر تاريخهم الطويل، وكل طائفة منهم تكفر الأخرى، وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة في قوله تعالى: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ } وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }^(١)، قال ابن عباس كما في تفسير ابن كثير: (لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتتهم أحبار يهود، فتنازعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رافع بن حرَيْملة ما أنتم على شيء، وكفر بعيسى وبالإنجيل. وقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود: ما أنتم على شيء. وجدد نبوة موسى وكفر بالتوراة. فأنزل الله في ذلك من قولهما { وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ } وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ } أي: يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة، فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى بالتصديق بعيسى، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى بتصديق موسى، وما جاء من التوراة من عند الله، وكل يكفر بما في يد صاحبه.

(١) البقرة: ١١٣

إن كلا من الطائفتين صدقت فيما رمت به الطائفة الأخرى. وظاهر سياق الآية يقتضي ذمهم فيما قالوه، مع علمهم بخلاف ذلك؛ ولهذا قال تعالى: **{ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ }** أي: وهم يعلمون شريعة التوراة والإنجيل، كل منهما قد كانت مشروعة في وقت، ولكن تجاحدوا على ما بينهم عنادًا وكفرًا ومقابلة للفساد بالفساد.

وقوله تعالى: **{ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ }** يُبَيِّنُ بهذا جهل اليهود والنصارى فيما تقابلوا من القول، وهذا من باب الإيماء والإشارة، وقوله تعالى: **{ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }** أي: أنه تعالى يجمع بينهم يوم المعاد، ويفصل بينهم بقضائه العدل الذي لا يجور فيه ولا يظلم مثقال ذرة^(١).

في هذا المبحث سنتناول الحديث عن العناصر الآتية:

أولاً: إيذاء اليهود لعيسى بن مريم - عليه السلام -

كما نعلم أن الديانة اليهودية كانت متقدمة في الظهور على الديانة النصرانية، ولما أرسل الله تعالى عيسى عليه السلام عارضت دعوته رغبات اليهود ومصالحهم؛ حتى تعرضوا له ولأتباعه بالاضطهاد، وقد ابتدأ إيذاء اليهود للمسيح - عليه السلام - منذ ولادته، ومن أهم ما آذوه به اتهامهم له بأنه ابن زنا؛ وذلك أن عيسى - عليه السلام - لما جاء إلى الدنيا على خلاف ما جرت به عادة النساء، حيث ولد من أم بلا أب، كان هذا أمراً عجيباً عند

(١) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٦، باختصار.

اليهود، فاتخذ اليهود من مولده مدعاة للطعن فيه وفي أمه - عليهما السلام - فرموها بالزنا وارتكاب الفاحشة وهي البتول الطاهرة، لقد اتهم اليهود عيسى عليه السلام بأنه ابن زنا، يظهر ذلك من قولهم له " نحن لم نولد من زنا " (١) ، وفي هذا التلميح في أن عيسى عليه السلام هو الذي ولد من الزنا، وقد أشاع اليهود ذلك فيما بينهم، وكان ذلك منذ ولدته أمه، وقد جاءت كثير من الفقرات في التلمود تحتوي على اسم المسيح تلميحا لا تصريحاً، فمثلاً يقولون: " ابن النجار " إنه يسوع المسيح الذي ارتد عن دين اليهود وعبد الأوثان، الساحر، المشعوذ، المجنون، المخبول، روح شيطان، مضلل، ومدفون في جهنم؛ لأنه وثن " (٢) .

والمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام عند اليهود يشار إليه في التلمود بوصفه " ابن العاهرة " كما يشار إلى أن أباه جندي روماني حملت منه مريم العذراء سفاحاً، ومعلوم أن التلمود كتاب مقدس يؤمن اليهود بتعاليمه، وهو أساس تربيتهم الدينية مع التوراة، كما سبق بيانه، وبهذا كفر اليهود بعيسى بحكم نظرتهم إليه من ناحية المولد (٣) .

ولما عرض عيسى - عليه لسالم - دعوته على اليهود " فلم تعجبهم دعوته، إذ أرادوه ملكاً، يعيد إليهم ملكهم المفقود، ومجدهم التليد، ودولتهم السلبية،

(١) إنجيل يوحنا، إصحاح ٨ / ٤١ .

(٢) فضح التلمود، لزهدي الفاتح ص٥٧-٨٤، واليهود تاريخ وعقيدة، لكامل سغفان ص١٥١ .

(٣) حقيقة العلاقة بين اليهود والنصارى، لأحمد محمد زايد ص ١٠٨، بتصرف. وينظر: يسوع

والأناجيل، لجون ودرين، ج ٥ / ٣٤٠ .

فإذا به يدعوهم إلى الدار الآخرة، بدعوة روحانية، بعيدا عن الماديات التي طغت عليهم، لتكون دعوته علاجا لما هم فيه، ودواء لما أصابهم من أدواء، فتردهم إلى الجادة، وتعود بهم إلى الصراط المستقيم، لقد أرادوه مسيحا مخلصا لهم، وانتظروه فلما جاء المسيح تأهبوا لتنصيبه ملكا عليهم، فلما أحس عيسى عزمهم على هذا تركهم إلى الجبل، فإذا بهم ينكرون دعوته، ويناصبونه العدا، ثم أرادوا تشويه صورته أمام الناس ليرفضوا رسالته، فزعموا زعمهم القديم بأنه ابن زنا، وأن أمه لم تتزوج، وإنما حملت به من سفاح، من " باندارا العسكري " أو من " يوسف بن النجار " !!

واستقبله ناس من اليهود فلما رأوه قالوا: جاء الساحر ابن الساحرة، الفاعل ابن الفاعلة، وقذفوه وأمه (١)

وقد رد الله على اليهود اتهامهم لعيسى عليه السلام بأنه ابن زنى؛ لأنهم قالوا: لا يعقل أن يخلق إنسان إلا من أب وام، وقد ضرب الله تعالى لهم مثلاً بخلق أم عليه السلام، والذي خلقه الله من تراب بلا أب وبلا أم، قال الله تعالى: **{ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون }** (٢)، قال ابن كثير في تفسيره معنى قول تعالى: **{ إن مثل عيسى عند الله في قدرة الله تعالى حيث خلقه من غير أب { كَمَثَلِ آدَمَ } فإن الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم، بل { خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ }** والذي

(١) جذور الفكر اليهودي، لداود عبد الغفور سنقرط ص ٨٦، وجنبايات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، لمحمد ندا، ص ١٥٦، وإسرائيل والتلمود دراسة تحليلية، للدكتور إبراهيم خليل أحمد، ص ٦٠، والكامل في التاريخ، لابن الأثير ج ١/ ص ١١٠١.

(٢) عمران : ٥٩.

خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأخرى، ولكن الرب، عز وجل، أراد أن يظهر قدرته لخلقه، حين خلق آدم لا من ذكر ولا من أنثى؛ وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: **{ وَلَنَجْعَلُ آيَةً لِلنَّاسِ }**^(١) ، وقال هاهنا: **{ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ }** أي: هذا القول هو الحق في عيسى، الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال"^(٢).

إن خلق عيسى عليه السلام من أم بلا أب معجزة ربانية، أراد الله تعالى أن يعلم بها اليهود -وغيرهم- أن قدرة الله تعالى لا تتوقف في الخلق على تزواج ذكر وأنثى، وإنما الله تعالى قادر على أن يخلق بأسباب، وبغير الأسباب، وأمره بين الكاف والنون، قال تعالى: **{ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون }**^(٣)

ولم يكتف اليهود باتهام عيسى عليه السلام بأنه ابن زنا، حتى اتهموه هو أيضا بالزنا، واتهموه بأنه زنى ببنت خاله المسماه بالمجدلية، وذكروا فيه كلاما يستحي الواحد من ذكره، لولا أن المقام بيان يقتضي ذلك لما ذكرناها؛ لما فيها من عبارات جاء في كتاب التجربة الأخيرة للمسيح: "وكانت المجدلية ابن خالة عيسى ابن مريم - مستلقية على ظهرها في الفراش عارية، مبللة

(١) سورة مريم : ٢١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢ / ٤٩ ، باختصار .

(٣) سورة يس : ٨٢-٨٣ .

بالعرق، وكان شعرها الفاحم منشورا على وسادتها، وكانت يداها متشابكتين تحت رأسها، وكانت منهوكة القوى؛ لأنها كانت تضاجع الرجال، منذ الظهر، وخفض ابن مريم نظره، ووقف وسط الغرفة غير قادر على الحركة وأمسك بها يسوع، وطبع على فمها قبلة ملتهبة فامتقع لونها واصطكت ركبتيها، فتساقطا تحت شجرة ليمون مزهرة، وأخذا يتدحرجان على الأرض حتى طلعت الشمس، ووقفت بينهما وهب نسيم عليل أسقط أزهار الليمون على جسديهما العاريين فضمت المجدلية يسوع إليها وألصقت جسدها بجسده" (١).

بل إن اليهود اتهموا عيسى عليه السلام بأنه زنى بأكثر من امرأة قبل صلبه، وقد جاء في الكتاب السابق: "وعندما واجه المسيح الصلب داخ، وأغمي عليه فأمسكت به نسوة كن موجودات فأسعفنه وضاجعنه كي ينجبن أولادا" (٢).

ثانيا: اتهام اليهود لمريم بالزنا

واتهام اليهود لعيسى عليه السلام بأنه ابن زنى يستلزم اتهامهم لأمه بالزنى وقد لعن الله اليهود؛ لارتكابهم جملة من الموبقات: منها كفرهم به سبحانه وتعالى، وافترائهم على مريم البهتان العظيم وهو الزنا، قال تعالى: **لوبيكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً** (٣)، قال الإمام الطبري: "يعني بذلك جل ثناؤه: ويكفر هؤلاء الذين وصف صفتهم (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً)، يعني: بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا، وهو البهتان العظيم؛ لأنهم رموها

(١) التجربة الأخيرة للمسيح، لنيكوس كازانتراكيس، ص ٨٦، ص ٤٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٨٢.

(٣) سورة النساء: ١٥٦

بذلك، بغير ثبوت ولا برهان، فبهتوها بالباطل من القول، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. فقال ابن عباس: (وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً)، يعني: أنهم رموها بالزنا، قال السدي: حين قذفوها بالزنا^(١).

وقد برأ الله تعالى مريم بنت عمران الله من فاحشة الزنا التي رامها بها اليهود وأثبت عفتها في مواطن كثيرة من كتابه الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: **{ ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين }**^(٢) قال ابن كثير في تفسيره معنى قوله: **{ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا }** أي حفظته وصانته، والإحصان: هو العفاف، **{ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا }** أي: بواسطة الملك، وهو جبريل، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي، وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه في جيب درعها، فنزلت النفخة فولجت في فرجها، فكان منها الحمل بعيسى، عليه السلام؛ ولهذا قال: **{ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا }** أي: بقدره وشرعه **{ وَكَانَتْ مِنَ الْقَائِنِينَ }**^(٣)

وقال تعالى: **{ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين }**^(٤) قال الطبري في تفسيره لهذه الآية: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر التي أحصنت فرجها، يعني مريم بنت عمران. ويعني بقوله (**أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**) : حفظت فرجها ومنعت فرجها مما

(١) تفسير الطبري ٩ / ٣٦٦.

(٢) سورة التحريم : ١٢ .

(٣) تفسير ابن كثير ٨ / ١٧٣ .

(٤) سورة الأنبياء : ٩١ .

حرم الله عليها إباحته فيه، واختلف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته ، فقال بعضهم: عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة، وقال آخرون: عنى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرائيل منه، قبل أن تعلم أنه رسول ربها، الذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك قول من قال: أحصنت فرجها من الفاحشة؛ لأن ذلك هو الأغلب من معنييه عليها، والأظهر في ظاهر الكلام، قوله (**وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ**) أي: وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمي زمانهما يعتبرون بهما ويتفكرون في أمرهما، فيعلمون عظيم سلطاننا وقدرتنا على ما نشاء: وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين، لأن معنى الكلام: جعلناهما علما لنا وحجة، فكل واحد منهما في معنى الدلالة على الله^(١).

ولأن مريم بنت عمران عفيفة طاهرة فقد اصطفاها الله تعالى، وفضلها على كثير من نساء العالمين، قال تعالى: { **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** }^(٢) قال الشيخ السعدي في تفسيره: "ينوه تعالى بفضيلة مريم وعلو قدرها، وأن الملائكة خاطبتها بذلك فقالت { **يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ** } أي: اختارك { **وَطَهَّرَكِ** } من الآفات المنقصة { **وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** } الاصطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاصطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على

(١) تفسير الطبري (١٨ / ٥٢٢)، باختصار.

(٢) سورة آل عمران : ٤٢.

سائر نساء العالمين، إما على عالمي زمانها، أو مطلقا، وإن شاركها أفراد من النساء في ذلك كخديجة وعائشة وفاطمة، لم يناف الاصطفاء المذكور^(١) وتبرئة القرآن الكريم لعيسى عليه السلام وأمه من الفاحشة يتفق مع ما في الأناجيل عند النصارى، وهي تتفق كلها على براءة مريم العذراء وولدها عيسى عليه السلام مما افتراه عليهما اليهود، يقول متى: " أما يسوع المسيح فقد تمت ولادته هكذا: كانت أمه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يجتمعا معا، وجدت حبلى من الروح القدس، وإذ كان يوسف خطيبها بارا ولم يرد أن يشهر بها قرر أن يتركها سرا، وبينما كان يفكر في الأمر إذا ملاك من الرب قد ظهر له في حلم يقول يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأتي بمريم عروسك إلى بيتك؛ لأن الذي هي حبلى به إنما هو من الروح القدس، فستلد ابنا وأنت تسميه "يسوع"؛ لأنه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم، حدث هذا كله ليتم ما قاله الرب بلسان النبي القائل: إن العذراء تحبل وتلد ابنا، ولما نهض يوسف من ونومه فعل ما أمر به الملاك الذي من الرب"^(٢).

ثالثا: مكانة عيسى وأمه عليهما السلام في القرآن الكريم

إن حديث القرآن عن عيسى عليه السلام وعن أمه مريم حديث مليء بالأدب والإنصاف، فلم يتهمها القرآن بالزنا كما قالت اليهود، ولم يقل بألوهية عيسى عليه السلام، أو بأنه ابن الله كما يعتقد النصارى، **كبرت كلمة تخرج**

(١) تفسير السعدي ص ١٣٠.

(٢) انجيل متى، إصاح، ١ (٢٥-١٨) بتصرف، انجيل لوقا، إصاح، ٢ (٤٠-١).

من أفواههم إن يقولون إلا كذبا {^(١)} وقد تحدث عنهما القرآن الكريم في مواطن كثيرة، فمریم ذكرت فيه (٣١) إحدى وثلاثون مرة، ولدها عيسى عليه السلام ذكر فيه (٢٥) خمسة وعشرون مرة^(٢)، وفي كل هذه المواطن فيها دفاع عنهما، وبيان منزلتهما، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم أن عيسى عبد لله أنعم الله عليه بالنبوة والرسالة، وأمه كانت صديقة، قال تعالى: **{ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون }** {^(٣)}، قال ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية: " معنى قوله تعالى: **{ ما المسيح بن مريم إلا رسول }** فيه رد على اليهود في تكذيبهم رسالته، وعلى النصارى في ادعائهم إلهيته . والمعنى: أنه ليس باله ، وإنما حكمه حكم من سبقه من الرسل. وفي قوله: **{ وأمه صديقة }** رد على من نسبها من اليهود إلى الفاحشة . قال الزجاج : والصديقة : المبالغة في الصدق، وصديق «فعل» من أبنية المبالغة ، كما تقول : فلان سكت ، أي : مبالغ في السكوت . وفي قوله تعالى: **{ كانا يأكلان الطعام }** قولان .

(١) سورة الكهف : ٥ .

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي ص ٨٩، ص ١٤٧، هذا الإحصاء للمواطن التي ذكر فيها هذان الاسمين الكريمين صراحة، وهناك مواطن أخرى ورد فيها ذكر هذين الاسمين بالوصف، كالمسيح، أو التي أحصنت فرجها، وهذه المواطن لم نحصها، للتوسع في ذلك ينظر كتاب المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام الحقيقة الكاملة، للدكتور علي الصلابي.

(٣) سورة المائدة : ٧٥

أحدهما: أنه بين أنهما يعيشان بالغذاء ، ومن لا يقيمه إلا أكل الطعام فليس باله ، قاله الزجاج .

والثاني: أنه نبه بأكل الطعام على عاقبته، وهو الحدث، إذ لا بد لآكل الطعام من الحدث، قاله ابن قتيبة . وقوله: **{ انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أى يؤفكون }**، و«يؤفكون» يصرفون عن الحق ويعدلون، يقال : أفك الرجل عن كذا : إذا عدل عنه ، وأرض مأفوكة : محرومة المطر والنبات، كأن ذلك صرف عنها وعدل" (١) .

وقد أعطى الاسلام عيسى عليه السلام مكانة رفيعة، فلا يصح إيمان عبد إلا بالشهادة لعيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم - : (من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) (٢).

كما أتتى الإسلام على أمه ووصفها بأنهما ممن كملت من النساء فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : " قال رسول الله صلى اله عليه وسلم (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية

(١) تفسير ابن الجوزي ٢ / ٢٤٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: باب قوله تعالى: [يا أهل الكتاب لا تغلوا في

دينكم]، حديث رقم، (٣١٨٠)

امراة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ،
وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) ^(١).

رابعا: موقف اليهود من دعوة عيسى عليه السلام

بعد انحراف بني اسرائيل عن دين الله تعالى، أرسل الله تعالى إليهم عيسى بن مريم عليه السلام، وقد وصف حالتهم بأنهم أشبه بالخراف الضالة، فقال: " لم يرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة" ^(٢)، وقال عنهم عيسى بن مريم بأنهم " الحيات أولاد الأفاعي " ^(٣) وقد حاول عيسى بن مريم أن يستأنس الخراف الضالة، وأن يستأنس الأفاعي السامة من بني إسرائيل: (لكنه تحرك في مجتمع متعفن التقاليد، جامد العواطف تسيطر عليه الطبقة المستغلة من تجار الحكم، وتجار المال، وتجار الدين، ووسط صراع وتناقضات مجتمع العشارين والمرابين والفريسيين والصدوقيين، وكل هذه القوى التي كانت تسيطر على المجتمع الذي بدأ فيه المعلم العظيم الدعوة والعمل إلى قيم التطهر والنقاء، كان هذا وحده كفيلا بأن يعرضه للمشقة وللمخاطر. وبأن يقضى عليه وعلى دعوته منذ البداية الأولى، قبل أن يشكل خطر الدعوة على الذين تهدد الدعوة امتيازاتهم وتسلبهم أدوات استغلالهم، والذي عرف نفسية اليهود، وخبائهم يدرك هذا المعنى الذي يمكن أن يعجز القلم عن تصويره، والعقل عن تصويره، إن هؤلاء اليهود- الذين قام فيهم المسيح عليه السلام

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم (٣٧٦٩)

(٢) انجيل متى، الإصحاح ١٥، الآية ٢٤ .

(٣) إنجيل متى، الإصحاح، ٢٦، الآية ٣-٥.

بدعوته - فقد عرفوا بالطبع الملتوي، والخلق النهاز، شعب صلب الرقبة، فيهم الغدر والجبن والخيانة فهم ذئاب إذا قدروا، وأرانب إذا خافوا .
وعليه فإن القيم الجديدة التي تمثلها دعوة السيد المسيح بقدر ما كانت عمليات رفض لمظاهر الاستغلال الصارخة، فإنها أيضا كانت خطرا على كل عفن ديني، وكل كهانة أخلاقية، وكل جمود على العرف والتقاليد .
وأمام كل ما تمثله الدعوة الجديدة على يد معلمها العظيم، فليس غريبا أن تتكفل الجهود، جهود كل قوى التناقض اليهودي الطبقي، ثم تتعاون قوى السلطان الرومانية مع التحالف اليهودي، ويصبح موقف الوالي سلبيا متميعا، كى يكون بالسلبية دون التدخل المباشر من قبل الدولة، وإنما بالتحالف غير المباشر وبالمؤامرة والخداع، يصبح المجال ميسرا ومهيا لإمكانية التخلص من خطر الداعي الجديد، ولقد بذل القوم جميعا في تحالف وارتباط وتآمر جهودا قوية ومضنية في التخلص من المعلم الجديد .^(١)

وكان اليهود قد أراد أرادوا من المسيح أن يكون ملكا وليس نبيا، أرادوه للعالم ولم يريدوه للأخرة، أرادوه لإعادة مجدهم وملكهم أرادوه، للمادة لا للروح: (ولما كان بناء هيكل سليمان - بيت إله بني إسرائيل في أورشليم - هو أهم مخططات اليهود ومعتقداتهم ، وقد جاء المسيح - عليه السلام- فوجد اليهود يزعمون بأن العبادة لا تقبل إلا في الهيكل، على أساس أنه بيت الرب، أي مسكنه الذي يسكن فيه، فصحح المسيح لهم هذا الزعم، وذكر لهم أن الله تعالى أجل من أن يسكن هذا المكان، وهو الذي وسع كرسيه السموات

(١) التاريخ اليهودي العام، د/ صابر طعيمة، ص ٣٥٠ باختصار بتصريف .

والأرض، وبين لهم بأن عبادته سبحانه في كل مكان، جائزة في كل الأرض وفي كل البيوت، وبهذا أنهى المسيح دور الهيكل في حياة اليهود، فحقدوا عليه لذلك وحاربوه .^(١)

لقد رفض عيسى بن مريم عليه السلام كل ما كان عليه الإسرائيليون وما يحملونه من ميراث مدعي يحوى دعوى العنصرية، لقد رفض السيد المسيح حياة النفاق في مجتمع إسرائيل (لقد رفض التناقضات التي تضج بها آيات العقيدة الدينية عند القوم، ومن ثم فإن اليهود - بعد أن كشف المسيح عوراتهم وأظهر سوءاتهم وفضح أحوالهم، ووصفهم بالخراف الضالة - رفضوا دعوته، ولم يستأنسوا، ولم يتقبلوا آيات الدعوة، وبعد ذلك قرروا التخلص منه والقضاء عليه).^(٢)

خامسا: محاولة اليهود قتل عيسى عليه السلام

لما كانت الدعوة التي جاء بها عيسى عليه السلام لا تتوافق مع رغبات اليهود وطموحاتهم، هنا بدا اليهود يفكرون في قتله والتخلص منه، وقد أدرك عيسى بن مريم عليه السلام أن اليهود، قد ابتدأوا بمطاردته ، وأنهم يودون قتله، وكان قد أدرك أنهم يودون التخلص منه في عيدهم، فأخبر تلاميذه ومريديه بذلك؛ وكان يقصد بذلك أن يهيئ نفوس أتباعه وأن يبين لهم أنهم جميعا مقبلون على خطر محقق، في ففي يوم العيد الذي يسمى " عيد الفطير " طلب السيد المسيح من تلاميذه أن يذهبوا ليخبروا واحدا من

(١) جذور الفكر اليهودي، لداؤود عبد العفو سنقرط ص ١٦١، بتصرف.

(٢) التاريخ اليهودي العام، د/ صابر طعيمة، ص-٣٥٦، باختصار .

المؤمنين، بأن المعلم يرغب في قضاء العيد عنده، كي يكون في هذا اللقاء فرصة من أمان يلتقى فيها مع تلاميذه ومريديه، ومن عجب أن قوى الخطيئة التي تتابع السيد المسيح بالمرصاد، كان أمرها قد شاع في أنها تريد التخلص من السيد المسيح، جاء في إنجيل " متى " (وفي أول أيام الفطير، تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين له : أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح، فقال: اذهبوا إلى المدينة إلى فلان وقولوا له: المعلم يقول إن وقتي قريب، عندك اصنع الفصح مع تلاميذي، ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح، ولما كان المساء اتكأ مع الاثني عشر، وفيما يأكلون قال: الحق أقول لكم إن واحدا منكم يسلمني، فحزنوا جدا وابتدأ كل واحد منهم يقول له: هل أنا هو يا رب، فأجاب وقال: الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني، إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذي به يسلم ابن الإنسان، كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هو يا سيدي ، قال له أنت قلت (١).

وبهذا فإن السيد المسيح كان على علم تام بكل صنيع المؤامرة والخداع ضده، وبالمعتقد الإنجيلي فإنه يبدو أن خطر المطاردة لم يجعل من المتيسر أن يفكر التلاميذ في مقاومة قوى التآمر، خاصة وبعد أن كشف السيد المسيح عن بداية خيوط المؤامرة ، حين قال لهم : " الذي يغمس يده في الصحفة هو يسلمني " . (٢)

(١) انجيل متى، الاصحاح السادس والعشرين.

(٢) التاريخ اليهودي العام، لصابر طعيمة ص ٣٤١-٣٤٤، باختصار، وتصرف .

وقد خيب الله آمال اليهود في قتل عيسى بن مريم عليه السلام، فرفعه الله إليه، ونجاه من كيدهم، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم محاولة اليهود قتل عيسى عليه السلام، قال تعالى: **(وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)**^(١)، قال ابن كثير في تفسيره: (وكان من خبر اليهود -عليهم لعائن الله وسخطه وغضبه وعقابه- أنه لما بعث الله عيسى ابن مريم بالبينات والهدى، حسدوه على ما آتاه الله من النبوة والمعجزات الباهرات، التي كان يبرئ بها الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويصور من الطين طائرًا ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا يشاهد طيرانه بإذن الله، عز وجل، إلى غير ذلك من المعجزات التي أكرمه الله بها وأجراها على يديه، ومع هذا كذبوه وخالفوه، وسعوا في أذاه بكل ما أمكنهم، حتى جعل نبي الله عيسى، عليه السلام، لا يساكنهم في بلدة، بل يكثر السياحة هو وأمه، عليهما السلام، ثم لم يقتنعهم ذلك حتى سعوا إلى ملك دمشق في ذلك الزمان -وكان رجلاً مشركاً من عبدة الكواكب، وكان يقال لأهل ملته: اليونان- وأنهبوا إليه: أن ببيت المقدس رجلاً يفتن الناس ويضلهم ويفسد على الملك رعاياه. فغضب الملك من هذا، وكتب إلى نائبه بالقدس أن يحتاط على هذا المذكور، وأن يصلبه ويضع الشوك على رأسه، ويكف أذاه على الناس. فلما وصل الكتاب امتثل متولّي بيت المقدس ذلك، وذهب هو وطائفة من اليهود إلى

(١) النساء: ١٥٧.

المنزل الذي فيه عيسى، عليه السلام، وهو في جماعة من أصحابه، اثنا عشر أو ثلاثة عشر -وقيل: سبعة عشر نفرًا- وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر ليلة السبت، فحصروه هناك، فلما أحس بهم وأنه لا محالة من دخولهم عليه، أو خروجه عليهم قال لأصحابه: أيكم يُلقَى عليه شبهي، وهو رفيقي في الجنة؟ فانتدب لذلك شاب منهم، فكأنه استصغره عن ذلك، فأعادها ثانية وثالثة وكل ذلك لا ينتدب إلا ذلك الشاب -فقال: أنت هو- وألقى الله عليه شبه عيسى، حتى كأنه هو، وفُتحت رُوْزَنَةٌ من سقف البيت، وأخذت عيسى عليه السلام سِنَّةً من النوم، فرفع إلى السماء وهو كذلك، كما قال الله تعالى: **{ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قُمْ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ [وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا] }**^(١)، فلما رفع خرج أولئك نفر فلما رأى أولئك ذلك الشاب ظنوا أنه عيسى، فأخذوه في الليل وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، فأظهر اليهود أنهم سعوا في صلبه وتبجحوا بذلك، وسلم لهم طوائف من النصارى ذلك لجهلهم وقلة عقلهم، ما عدا من كان في البيت مع المسيح، فإنهم شاهدوا رفعه، وأما الباقيون فإنهم ظنوا كما ظن اليهود أن المصلوب هو المسيح ابن مريم، حتى ذكروا أن مريم جلست تحت ذلك المصلوب وبكت، ويقال: إنه خاطبها، والله أعلم.

وهذا كله من امتحان الله عباده؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه وأظهره في القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم، المؤيد بالمعجزات والبيئات والدلائل الواضحات، فقال تعالى -

(١) آل عمران: ٥٥.

وهو أصدق القائلين، ورب العالمين، المطلع على السرائر والضمائر، الذي يعلم السر في السموات والأرض، العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون-: **{ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ }** أي: رأوا شبهه فظنوه إياه؛ ولهذا قال: **{ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ [وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ] }** يعني بذلك: من ادعى قتله من اليهود، ومن سلّمه من جهال النصارى، كلهم في شك من ذلك وحيرة وضلال وسُعر، ولهذا قال: **{ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا }** أي: وما قتلوه متيقنين أنه هو، بل شاكين متوهمين. **{ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا }** أي منيع الجنب لا يرام جنابه، ولا يضام من لاذ ببابه **{ حَكِيمًا }** أي: في جميع ما يقدره ويقضيه من الأمور التي يخلقها وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة، والسلطان العظيم، والأمر القديم^(١).

وبعد أن رفض اليهود دعوى عيسى عليه السلام، وآذوه وحاولوا قتله أخبرهم بأن بانتقال قيادة الأمم منهم إلى أمة أخرى، فقال لهم: (ولذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره)^(٢)؟

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٤٨، ومحاضرات في النصرانية، للشيخ محمد أبو زهرة، ص ٢٤.

(٢) انجيل متى، الإصحاح ٢١، الآية ٤٣.

سادسا: موقف اليهود من أتباع عيسى عليه السلام

بعد أن رفع الله تعالى عيسى عليه السلام استمر اليهود في الكيد لأتباعه وتعقبهم والتآمر عليهم، وقد نزل بأتباع عيسى عليه السلام، مثل ما نزل به من العسف والظلم، وكان اليهود مصدر هذه القسوة، وبقي اليهود يحاصرون دعوة المسيح، ويلاحقون دعاة المسيحية ومعتنقيها نيفا وثلاثة قرون، كانوا خلالها يغرون أباطرة وولاة الرومان بهم، يقدمون لهم أجسادهم يصلبونها على أخشاب أو ثانهم، أو يلقون بهم إلى أشداق السباع و هم على مدرجات ملاهيهم يقهقهون، ويقول القديس باسيل- في القرن الرابع الميلادي: (وكان الوثنيون واليهود يقتتلون مع بعضهم فيما مضى، أما اليوم فكلاهما يحارب المسيحية)^(١) وقد كان اليهود إلى وقت قريب ويقولون: (من يفعل خيراً للمسيحيين فلن يقوم من قبره قط، ويقولون: "يجب على اليهود السعي الدائم لغش المسيحيين")^(٢).

وقد ذكر الله تعالى نموذجا من أذى اليهود للنصارى إنها قصة أصحاب الأخدود، التي تصور لنا جريمة من أكبر جرائم اليهود وأبشعها ضد النصارى، والتي راح ضحيتها عشرات الآلاف من النصارى على يد " ذي نواس " حرقا، سنة ٥٢٤ م ، فقد ذكر أهل السير أن (ذا نواس) كان يهويا بلغه أن بنجران قوما من النصارى، فسار إليهم بجنوده، ثم دعاهم إلى اليهودية وترك دين " عيسى ابن مريم " وخيرهم بين الدخول في اليهودية أو القتل، فاخترأوا القتل

(١) مؤامرة اليهود على المسيحية، إميل الخوري، ص ٣١ .

(٢) الأصولية الإنجيلية، لمحمد السماك ص ٧ .

على مفارقة دين عيسى عليه السلام فاشتد غضبه، فأمر بخد الأخدود لهم ثم ملأها بالنيران، وأخذ يقذف بهم في نيران الأخدود، فقتل منه بشرا كثيرا بلغوا قريبا من عشرين ألفا، ففي ذي نواسٍ وَجُنْدِهِ تِلْكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (١) .

وقد ورد في السنة النبوية تفصيل أكثر لهذه القصة، ففي صحيح مسلم عن أبي ليلى عن صهيب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إلي غلاما أعلمه السحر فبعث إليه غلاما يعلمه فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم آساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجرا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبئ الأكمه والأبرص

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٥ .

ويداوي الناس من سائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك فأمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجاء بالغلام فقال له الملك أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفي أحدا إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجاء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمشار فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال للملك إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم

في كبد القوس ثم قل باسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس آمنة برب الغلام آمنة برب الغلام آمنة برب الغلام فأتى الملك فقيل له أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن الناس فأمر بالأخدود في أفواه السكك فخذت وأضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمه اصبري فإنك على الحق^(١).

سابعاً: النصارى يبرؤون اليهود من دم المسيح

بعد أن أقام الصهاينة دولتهم اللقيطة في أرض فلسطين، عملوا على تحسين صورتهم عند المسيحيين، وعملوا جاهدين على تبرئة اليهود من دم المسيح ومحاولة قتله، فقد أصدر " المؤتمر الاكليريوسي العالمي " المنعقد برئاسة " البابابولس السادس " سنة ١٩٦٣م، قراراً بتبرئة اليهود من دم المسيح، هذا نصه: (إن التآمر اليهودي على السيد المسيح لم يكن جماعياً، وإن اليهود الذين لم يحضروا ذلك التآمر أبرياء من اللعنة، هذا القرار لم يأت عفو الخاطر وإنما جاء ولا شك بعد جهود دائبة مكثفة وعمل مضني امتد عدة قرون، والكنيسة الكاثوليكية ظلت إلى ثمانينات القرن الماضي تتهم اليهود

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام، حديث برقم (٣٠٠٥).

بقتل عيسى ابن مريم، ومع الضغوط المتزايدة التي تعرضت لها من قبل الصهيونية، وها نحن نراها قد خضعت هي الأخرى في السنوات الأخيرة، حتى أعلنت تبرئة اليهود من دم المسيح، وسمحت للمسيحيين بالانضمام إلى محافل الماسونية، ولم يكتف المؤتمرون بقرار التبرئة هذا، بل إنهم حملوا على جميع الأديان، ما عدا المسيحية واليهودية طبعاً، ووصفوها بأنها ديانات وثنية.

إن قرار تبرئة اليهود من دم المسيح كان قراراً سياسياً، اقتضاه قيام إسرائيل وخروج اليهود علناً إلى مسرح السياسة العالمية، فهل رفع المسيحيون على اليهود قضية يطالبونهم فيها بدم المسيح، حتى يطلب هؤلاء منهم براءتهم من دمه، إن الإجابة على السؤال تفسر لماذا ألح اليهود على الفاتيكان بإصدار القرار، وفي هذا الوقت بالذات!^(١)

وتبرئة اليهود من دم المسيح عليه السلام يتعارض مع ما جاء في الإنجيل والذي يصف اليهود بأنهم قتلة للأنبياء، جاء في إنجيل متى: (ويل لكم، أيها الكتبة والفريسيون المراءون؛ لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين، وتقولون: لو كنا في أيام آبائنا، لما شاركناهم في دم الأنبياء، فأنتم بذلك تشهدون على أنكم قتله، أيها الحيات، يا أولاد الأفاعي، يا أبناء إبليس، كيف تهربون من دينونة جهنم، لذلك أنا أرسل لكم أنبياء وحكماء

(١) القوى الخفية لليهودية العالمية، لداود عبد العفو سنقرط، ص ٧٨، بتصرف، المخططات التلمودية، لأنور الجندي، ص ٦٣.

وكتبة، فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة" (١).

وكان على المسيحيين أن يهبوا لأخذ ثأرهم من اليهود؛ لدورهم الذي قاموا به مع أعظم شخصية لديهم، لا أن يتلمسوا لهم الأعذار، ويقوموا بتأليف وثيقة لتبرئة اليهود من دم المسيح) (٢).

وهذا يدل على أن القرار لم يأت من فراغ، بل أتى نتيجة ضغوطات مسارتها الصهيونية على أتباع الكنائس، لإصدار مثل هذا القرار.

وقد حاول " بيلاطوس البنطي " منع اليهود من محاكمة المسيح وقتله، لكنهم رفضوا ذلك، وقد دار بينه وبين اليهود هذا الحوار

بيلاطوس : وأي شر عمل ؟

الجميع : ليصلب ، ليصلب فلما رأي بيلاطوس أنه لا ينفع شيئاً، أخذ ماء، وغسل يديه قدام الجميع)

وقال بيلاطوس : إني برئ من دم هذا البار، أبصروا أنتم

الجميع : دمه علينا وعلى أولادنا .

فهذا بيلاطوس غسل يديه من دم المسيح، لئلا يلطخها بالدم البرئ، في حين كان جميع المجتمعين يقولون : " دمه علينا وعلى أولادنا " (٣).

(١) إنجيل متى، إصحاح، ٢٣.

(٢) جنائيات بني إسرائيل على الدين والمجتمع، لمحمد ندا ص ١٥٩، بتصرف .

(٣) إنجيل متى، إصحاح، ٢٧، لآيات من ٢٠-٢٦) بتصرف .

ومما يدل على أن اليهود حاولوا قتل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، الحوار المأساوي الذي دار بين المسيح ومن أرادوا صلبه قبيل تنفيذ عملية الصلب هذه - حسب ما ورد في الإنجيل، وهذا الحوار:

اليهود : أبونا إبراهيم .

المسيح : لو كنتم أولاد إبراهيم، لكنتم تعلمون أعمال إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله، هذا لم يعمله إبراهيم، أنتم تعملون أعمال أبيكم .

اليهود : إننا لم نولد من زنى، لنا أب واحد، هو الله .

المسيح : لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني، لأنني خرجت من قبل الله وأتيت، لأنني لم آت من نفسي، بل ذاك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي؟ لأنكم لا تستطيعون أن تسمعوا قلبي، أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا، ذاك كان قتالا للناس من البدء، ولم يثبت في الحق، لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب فإنه يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب، وأما أنا فلأنني أقول الحق، لستم تؤمنون بي، من منكم يبكتني على خطيئته ؟ فإن كنت أقول الحق، فلماذا لستم تؤمنون بي ؟ الذي من الله يسمع كلام الله .

اليهود: ألسنا نقول حسنا ؟ إنك سامري ، وبك شيطان .

المسيح : أنا ليس بي شيطان، لكني أكرم أبي، وأنتم تهينونني، أنا لست أطلب مجدي، يوجد

من يطلب ويدين، الحق الحق أقول لكم، إن كان أحد يحفظ كلامي، فلن يرى الموت إلى الأبد .

اليهود: الآن علمنا أن بك شيطاننا، قد مات إبراهيم والأنبياء، وأنت تقول إن كل واحد يحفظ كلامي، فلن يذوق الموت إلى الأبد، ألعك أعظم من أبينا إبراهيم الذي مات والأنبياء الذين ماتوا؟ من تجعل نفسك؟
المسيح: إن كنت أمجد نفسي، فليس مجدي شيئا، إبي هو الذي يمجدي، الذي تقولون أنتم إنه إلهكم، وليس تعرفونه، وأما أنا فأعرفه، وإن قلت إنني لست أعرفه أكون مثلكم كاذبا، لكنني أعرفه وأحفظ قوله.
أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي، فرأى وفرح.

اليهود: ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم؟

المسيح: الحق، الحق، أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن.

تقول الرواية: لقد رفعوا حجارة ورجموه بها، ثم بعد ذلك صلبوه^(١).

ونحن كمسلمين نعتقد أن اليهود ما قتلوا عيسى عليه السلام؛ لأن الله رفعه إليه، والقتل والصلب وقع على الذي جعله الله شبيها لعيسى عليه السلام، قال تعالى: **{ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم }^(٢)**، مع يقيننا بأن الله تعالى لو لم يرفع عيسى عليه السلام إليه، لصلبه اليهود، ولما يتورعوا عن ذلك، ولو استطاعوا صلبه وقتله أكثر من مرة لفعلوا؛ لأنهم قتلة الأنبياء والصالحين، وصدق القائل: **{ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا**

(١) إنجيل يوحنا، إصحاح، ٨: ٤٦، وعقيدة المسلمين أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام ولم يصلبوه: لأن الله تعالى رفعه إليه.

(٢) سورة النساء: ١٥٧.

تقتلون} (١)، وقال تعالى عنهم: { إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب
أليم } (٢)، والمسلمون لا يبرؤون اليهود من دم المسيح، كما فعلت الكنائس
المسيحية، لأن قوانين العقوبات تقول: (إنه إذا ترصد شخص لقتل آخر
ووضع الرصاصة في بندقيته وصوبها إليه ليقتله فقتل غيره بدلا منه، فإنه
حقيقة ما قتل من يقصد قتله ولكنه قاتل بالعمد ويسق الإصرار، وبإزهاق
روح) (٣).

(١) سورة البقرة : ٨٧ .

(٢) سورة آل عمران : ٢١ .

(٣) اليهود في القرآن الكريم، لصلاح أبو إسماعيل، ص ٣٨.

المبحث الثاني:

المراحل التاريخية التي مرت بها الحركة الصهيونية

يدعي اليهود أن موسى عليه السلام كان أول قائد للصهيونية العالمية، وأول من شيد صرحها ووطد دعائمها، فهو الذي قاد بني إسرائيل؛ ليدخل بهم فلسطين عقب خروجهم من مصر، ولم يدخل موسى أرض فلسطين، ولكن خلفاؤه هم من دخلوها: (والحقيقة أن موسى عليه السلام بريء من هذا الادعاء؛ فهو لم يؤسس المذهب الصهيوني ولم يضع أفكاره، بل جاءهم بالديانة اليهودية التي أوحى الله تعالى إليه بشرائعها وبلغها بكل أمانة إلى بني إسرائيل).

وبعد أن استقر اليهود في فلسطين لفترة من الزمن، وعصوا الله تعالى وحرفوا دينه، سلط الله عليه أهل بابل، فحصل لليهود ما يعرف بالسبي البابلي، وقد تميزت هذه الفترة بالدعوة لإقامة دولة مؤقتة خارج فلسطين إلى حين عودت اليهود من السبي البابلي، كما صاحب هذه الفترة ظهور فكرة المسيح المخلص، كما صاحب هذه الفترة ظهور حركات يهودية من أشهرها حركة (الموكابين) التي طالبت بوجوب العودة إلى فلسطين وبناء هيكل سليمان.

وقد ظلت فلسطين خالية من اليهود، حتى إن الفتح الإسلامي عندما جاء بعد ذلك بخمسة قرون لم يكن، في بيت المقدس يهودي واحد، إذ كانت الأطماع في الاستقرار بفلسطين قد زالت، فارتضى اليهود الحياة في موطن الهجرة، وبخاصة في البلاد الإسلامية حيث تمتعوا بما يكفله الإسلام لغير المسلمين في المجتمعات الإسلامية من حقوق، وتوقفت بذلك أطماع الحركة الصهيونية

في العودة إلى أرض فلسطين، استمروا على ذلك قرونا من الزمان، ومر الزمن ولم يبد اليهود قط أي لون من ألوان الولاء للبلاد التي عاشوا بها واشتركوا في مؤامرات ضدها، فتعرضوا لحركة اضطهاد عنيفة في أكثر البلاد التي نزلوا بها، وكان من أشدها قسوة المذبحة التي نزلت بهم في روسيا سنة ١٨٨٢م .

وعلى إثرها بدأت حركة الصهيونية من جديد، وأدرك اليهود - مرة أخرى - أنه ليس ثمة عيش لهم إلا في أرض أسلافهم، أرض الميعاد، وبدأ مسلسل جديد لم تنته حلقاته بعد^(١).

إن المتأمل في تاريخ الحركة الصهيونية يجد أنها مرت بثلاث مراحل، ومن خلال هذه المراحل تمكن اليهود من اختراق المسيحية، وتحويلها إلى أداة طيعة في أيديهم، وعصى غليظة يشهرونها في وجه أعدائهم، وهذه المراحل سوف نذكرها في هذا المبحث على النحو التالي:

(١) اليهودية د/ أحمد شلبي، ص ١٢٥، وينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، لمانع الجهني، ص ٥٦١.

المرحلة الأولى:

مرحلة القس بولس الرسول

يعتبر بولس الرسول من أهل الشخصيات اليهودية التي عملت على اختراق الديانة المسيحية وتحريفها وبذر فيها البذور الأولى للحركة الصهيونية، والتي تتجلى في عصرنا بالتحالف الوثيق القائم بين اليهود والمسيحيين البروتوستانت، فمن هو بولس؟ وكيف اخترق النصرانية وحرفها، وكيف بذر فيها بذور الحركة الصهيونية؟ هذا ما سنحاول الحديث عنه في هذا المبحث.

أولاً: مولد بولس الرسول

وقد ولد بولس في سنة خمس ميلادية، وكان ميلاده في مدينة طرسوس^(١)، والتي كانت تخضع للحكم الروماني فهو روماني الأصل، قال عن نفسه: (أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس)^(٢) ، ثم تربى بعد ذلك في مدينة إورشليم (القدس)، وهو من اليهود الفريسيين^(٣)، وهي أشهر فرق اليهود، ويسمون أنفسهم الأحبار أو الريانيين، عاصروا المسيح وعارضوه في كثير من مبادئ

(١) مدينة طرسوس غير مدينة طرطوس، فالأولى تقع في تركيا والثانية مدينة ساحلية تقع في الساحل الغربي من سوريا.

(٢) أعمال الرسل، للوقا الإنجيلي، إصحاح ٢٢ / ٣.

(٣) فريسي، كلمة آرامية ومعناها (المنعزل) وهي إحدى فئات اليهود الرئيسية، وقبل بمعنى أنه صار ذا رأي وعلم بالأمور، فهو فارس، أي عالم بالامر وهم ، ينظر: قاموس الكتاب المقدس، ص ٦٧٤، وقصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار، ص ٤٦٩

دعوته واستهوتهم الدنيا فأقبلوا على الشهوات واستنزاف أموال الناس فاختلت منزلتهم وتخلي عنهم كثير من أتباعهم، سماهم المسيح المرائين) (١). وكان بولس في بداية حياته يعتنق الديانة اليهودية المحرفة، وقد قال عن نفسه: (أنا يهودي فريسي بن فريسي، على رجاء قيامة الأموات) (٢)، وكان من أشد اليهود عداً للديانة المسيحية، ومن أكثرهم أذى لأتباعها، قال عنه لوقا في إنجيله: (وكان " شاؤول " (٣) راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة، ويدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسلمهم إلى السجن ولم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق، حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم" (٤).

وكان بولس يرغب في أن يحرف الديانة المسيحية من خارجها، ولما أعياءه ذلك، تظاهر بالدخول فيها؛ حتى يحرفها من داخلها (٥).

(١) القدس مدينة واحدة، عقائد ثلاث، تأليف كارين أرمسترونج، ص ٢٤٦-٢٥٠ بتصرف .

(٢) أعمال الرسل، إصحاح ٦ / ٢٣ .

(٣) شاؤول، هو الاسم الأصلي لبولس.

(٤) أعمال الرسل، الإصحاح ٩، الآيات ١، ٢ .

(٥) ولعل عبد الله بن سبأ اليهودي درس تجربة بولس الرسول في تحريفه للنصرانية، فحاول استتساخ هذه التجربة وتطبيقها على الإسلام، فتظاهر بالدخول في الإسلام، وهدفه هدم بنيانه من داخله، وحاول إدخال أمورٍ غريبة على الإسلام وأهله، شبيهة بما أدخلها بولس على الديانة النصرانية، فخاب ظنه، وظل سعيه لأن الله تعالى قيض للإسلام رجالاً دافعوا عنه وردوا عليه شبهاته وتحريفاته، وقد تأثر به بعض الرعايا من الغوغاء قليلو العلم والمعرفة، ولا تزال كثيراً من أقواله وشبهاته يرددونها بعض من ينتسب إلى الإسلام إلى يومنا هذا، وقتنته التي أشعلها لا تزال جذوتها متقدة في كثير من بلدان المسلمين، وخاصة في البلدان التي يقل فيها العلم الحق، والعقيدة الصحيحة.

وفي عام ٤٠م التحق بولس بالمسيحيين في أنطاكية، وتظاهر بالدخول فيها؛ وهدفه تحريفها من الداخل، قال الأستاذ أنور الجندي: (لقد استهدف بولس غاية اليهودية في الدخول إلى المسيحية؛ ليحاربها من الداخل بسلاح الهدم والتدمير، متعاوناً في ذلك مع أبناء دين اليهود في سبيل القضاء عليها) (١).

وبعد وفاة عيسى عليه السلام قام الحواريون بالدعوة إلى الله تعالى بطريقة حسنة، فاجتذبت هذه الطائفة عدداً من المؤمنين يبعث على الدهشة، وقد أطلق الناس على أتباع يسوع في أنطاكية اسم "المسيحيين" لأول مرة بسبب تأكدهم أن يسوع هو المسيح، أي الذي مسح عليه بالزيت المقدس.

وبعد أن دخل بولس في المسيحية-حاول ان يتصل بتلاميذ المسيح، ولكنهم أوجسوا منه خيفة، ولم يصدقوا إيمانه. وحتى يصدقه النصارى في دخوله في النصرانية اخترع لهم قصة مفادها أنه يتلقى التعاليم الدينية من المسيح مباشرة، جاء في إنجيل لوقا: (إن بولس في زهابه إلى دمشق، أبرق من حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له: شأؤول شأؤول لماذا تضطهذي؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، فقال: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له الرب: قم وادخل المدينة فيقال لك: ماذا ينبغي أن تفعل، قم وكرز بالمسيحية، فجعل يكرز في المجامع بالمسيحية أن هذا هو المسيح ابن الله) (٢).

(١) المخططات التلمودية، لأنور الجندي ص١١٨، المسيحية، د/ أحمد شلبي، ص ٧٤.

(٢) إعمال الرسل، إصحاح، ٩ : الآيات من ٣-٦، ٦٠.

وبهذه القصة الماكرة استطاع بولس أن يدخل في الديانة المسيحية، وأن يحرفها من داخلها، دون أن يستطيع أحد معارضته؛ لأنه زعم لهم أنه يتلقى التعاليم من المسيح تلقيا إلهاميا روحيا، وصدقوه في ذلك، وأدخل في المسيحية ما أدخل ، وحرف فيها ما حرف، وكاد لدين الله أيما كيد^(١) .

والحقيقة أن بولس لم ير المسيح عيسى بن مريم قط ولا سمعه يتكلم، ولكنه اخترع هذه القصة، وقال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح، صلة أدخلته المسيحية وسكبت في نفسه تعاليم جديدة، وبهذه الدعوى لم يعد لأحد الحق في أن يناضله فيما ينشره من تعاليم ، مادام يقول إن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح.

اما الإنجيل الذي جاء به بولس، فلكي لا يرفضه الناس، فقد اخترع له قصة شبيهة بقصة دخوله في المسيحية، فقال لهم: (أيها الأخوة: الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان؛ لأنني لم أقبله من عند إنسان ولا علمته من إنسان، بل بإعلان يسوع المسيح)^(٢).

ثانيا: بولس والتحول العجيب

تحول بولس من اليهودية إلى المسيحية بهذا الشكل السريع أثار التعجب عند دارسي الأديان فقالوا: كيف ينتقل رجل من كفر بدين، مع اضطهاد أتباعه، إلى الاعتقاد الشديد به من غير سابق تمهيد؟، والعجب أن ينتقل شخص من

(١) مكاييد يهودية عبر التاريخ ، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص ٣٤ .

(٢) أعمال الرسل، الإصحاح ٩، الآيات، ٢٦- ٢٧ .

الكفر المطلق بدينه إلى الدين الذي كفر به، فإن ذلك ليس له نظير، ولم يعهد ذلك في أنبياء ورسول قط !.

وسيزول عجبهم إذا علموا الأهداف الخفية لبولس والتي جعلته يتظاهر بترك اليهودية والدخول في المسيحية، وقد ساعد بولس في ذلك التحول والتأثير في النصرانية ما كان يتمتع به من صفات جيدة، قال الشيخ أبو زهرة بقوله : " إن بولس-أبو العجب- استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض على المسيحيين آراءه من بعده، وأن يحكم على نسيان العقل عندما يدرسون أقواله وآراءه وتعاليمه .

ومن يومها استطاع بولس أن يفرض ما ارتآه على المسيحيين فيعتنقوه ديناً، ويتخذوا قوله حجة، زاعمين أنه رسالة أرسل بها حتى صارت المسيحية الحاضرة منسوبة إليه، فهو المؤسس الحقيقي لها .

وقد ساعد بولس على القيام بدوره هذا عدة صفات امتاز بها، هي :

١- أنه كان نشيطاً دائماً الحركة، ذا قوى لا تكل، وذا نفس لا تمل .
٢- أنه كان المعيا شديد الذكاء، بارع الحيلة، قوى الفكر، يدبر الأمور لما يريد لها بدهاء الألمعي، وذكاء الأروعي، يسدد السهام لغاياته ومآربه فيصيد بها .

٣- أنه كان شديد التأثير في نفوس الجماهير، قوى السيطرة على أهوائهم ، قديراً على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه.

وبهذه الصفات الممتازة، وبهذه القدرة البارعة استطاع بولس أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية ، وقطبهم، وأن يفرض على المسيحيين ما ارتآه

فيعتقدوه ديناً، ويتخذوا قوله حجة زاعمين إنه رسالة أرسل بها، وبهذه الصفات الباهرة استطاع أن يحملهم على نسيان ماضيه، وأن يندغموا في شخصه حتى يصير هو كل شيء، وهم لا يستطيعون رد قوله في الجماهير^(١).

وبعد هذا التحول أصبح بولس هو البطل الجديد للمسيحية، صارت المسيحية في الماضي والحاضر مطبوعة بطابع بولس، منسوبه إليه، وأصبح يعرف ببولس الرسول!. فبولس هو المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية السائدة في عصرنا.

ثالثاً: اليهودي لا يغير دينه

لم يكن "بولس" الذي تظاهر باعتناق المسيحية فقط، بل إن كثيراً من اليهود تظاهروا باعتناق المسيحية، منذ عصر الإصلاح الديني الذي ظهرت فيه آثار تعاليمهم ودسائسهم وفتنتهم: (وتظاهر اليهود باعتناق المسيحية كان ولا يزال سلاحاً خطيراً، يستخدمونه للوصول إلى غايتهم الرامية إلى هدم الأديان و التقاليد و الأخلاق .

فاليهودي الذي "يتعمد" ظاهراً ويحمل اسماً مسيحياً، يستطيع أن يعمل بحرية تامة على بث الفتن والشكوك، يحميه رداء الكهنوت المزيف، واليهودي الذي يعتنق المسيحية كاذباً، يستطيع أن يصل إلى مناصب الدولة العالية أو مناصب الجيش أو التعليم أو الفن، يستطيع أن يبث سمومه المخربة، و ينفذ خطط اليهودية العالمية، بالاسم المسيحي الذي يحمله .

(١) محاضرات في النصرانية، لمحمد ابي زهرة، باختصار وتصرف، ص ٧٤ .

ودين اليهود وعاداتهم وأخلاقهم تساعد، بل تأمر بالتقية، وأن يظهروا غير ما يبطنون، إذا كان في ذلك خدمة لدينهم و شعبهم^(١).

وقد تظاهرت جماعة " شهود يهوه " بالمسيحية (فلبسوا مسوح الرهبان، كما تظاهر يهود الدونمة بالإسلام، فلبسوا العمامة و الجبة والقفطان، بل ولبسوا أيضا ملابس الدراويش)^(٢).

واليهودي لا يغير دينه أبدا مهما تظاهر بعكس ذلك، قال البروفسور اليهودي الكبير " البرت انشتاين " إن اليهودي الذي يغير دينه يظل يهوديا^(٣)، واليهودي الذي ينبث في الأوساط غير اليهودية يتظاهر دائما بالإلحاد ليشجع غيره على الإلحاد والتنكر للأديان، بينما يظل في قرارة نفسه متدينا متعصبا لدينه: (وخير مثل على هذه الخدعة اليهودية الماكرة اللورد بيكونسفيلد " الذي تظاهر باعتناق المسيحية، ووصل إلى منصب رئيس الوزارة البريطانية زمن الملكة " فكتوريا " سنة ١٨٧٥ م، وغرس في عهده جذور الاستعمار البريطاني " لا لخدمة الإنجليز والمسيحية، وإنما لخدمة اليهود واليهودية وعمل طوال حياته على إحياء آمال الشعب اليهودي و تجديد نشاطه و تقوية أحلامه)^(٤).

ولم يقتصر نشاط اليهود في حربهم للمسيحية على تغلغلهم السرى واعتناق المسيحية كذبا ورياء، بل رافق ذلك عداء سافر وقح نظمتة الماسونية بعد

(١) الأفعى اليهودية في ديار المسلمين، لعبد الله التل، ص٥٣ بتصرف .

(٢) حكومة العالم الخفية، لشريب سبريد وفيتش، ترجمة، مأمون سعيد ص١٥١ بتصرف .

(٣) مجلة " الكولير " الأسبوعية، عدد ٢٨ نوفمبر ١٩٣٨ م .

(٤) الأفعى اليهودية في ديار المسلمين، لعبد الله التل، ص ٥٩،

انتصارها في الثورة الفرنسية وتسلطها على الحكومات الأوربية العلمانية طوال القرن الثامن عشر و التاسع عشر والعشرين.

ليس من ريب أن اليهودية التلمودية فرضت نفسها على المسيحية الغربية منذ وقت باكر: (عن طريق التفسيرات التي قدمها " بولس " - اليهودي الأصل- لتدميرها من الداخل، ثم كان الصراع بين اليهودية و المسيحية بعد ذلك حتى استطاعت اليهودية التلمودية أن تحدث تلك الثغرة الضخمة في الجدار العريض) (١).

رابعاً: التحريفات التي أدخلها بولس على الديانة النصرانية

بعد أن كانت النصرانية قائمة على التوحيد الخاص لله تعالى، وكانت تنظر إلى عيسى بن مريم على أنه عبد لله ورسوله، وبمجرد أن تقلد بولس الزعامة الدينية فيها، حتى غير النظرة إلى عيسى بن مريم عليه السلام تغييراً جذرياً، (وأخذ بولس يعلم الناس أن " عيسى " لم يكن المسيح الموعود فحسب، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة لبشر، فموته كان تضحية مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية) (٢).

والمسيح عند بولس هو ابن الله، له طبيعتان: إلهية وإنسانية، تجسد واتخذ صورة عبد وتحد من ذرية إبراهيم حسب الجسد ومات مصلوباً، وقبر وقام

(١) المخططات التلمودية، لأنور الجندي، ص ٣٩-٤٠، بتصرف

(٢) المسيحية، د/ أحمد شلبي، ص ١٠١ بتصرف

من بين الأموات نعم ذلك هو مسيح بولس وليس عيسى ابن مريم عليه السلام^(١).

كما ادخل بولس في المسيحية مفاهيم الصلب، والخطيئة، والتثليث، وقال بألوهية عيسى عليه السلام، واختراع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر: (وراح " بولس " يعلم ديانته التي استمدها من الثقافات الأجنبية التي كان بولس على علم واسع بها، كما أدخل " بولس " على الديانة المسيحية بعض تعاليم اليهود؛ ليجذب أتباعا له من اليهود اليونانيين، فبدأ يذيع أن " عيسى " منقذ ومخلص وسيد، استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق اليهودية، فانحاز أتباعها إلى ديانة بولس الجديدة.

ولكي يرضى المثقفين اليونان، فقد استعار من فلاسفة اليونان فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة، أو ابن الإله أو الروح القدس، وقال بالتثليث، وتبع ذلك ألوهية المسيح وألوهية الروح القدس، وجعل عيسى ابن الله نزل ليضحى بنفسه تكفيرا عن خطيئة البشر، وقيامه عيسى من الأموات وعودته ليجلس عن يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر " وعودته ليجلس عن يمين أبيه كما كان من قبل ليحكم ويدين البشر "

ومما اقتبسه بولس من الوثنيات أعياد رأس السنة، وعيد القيامة ، وعيد الغطاس، وأطلق عليها مسميات جديدة، فعيد الربيع أصبح عيدا لخروج عيسى من القبر، وطقوس السر المقدس أخذت مكان معبد التضحية عند

(١) يسوع المسيح، للآب بولس إلياس، ص ١٧-١٨، وينظر : المسيحية، د/ أحمد شلبي، ص ٩٣، بتصرف .

اليهود، وعيسى أصبح " ابن الله " حملت به أمه العذراء حملا غير طبيعي، واحتلت صورة العذراء والمسيح مكانا مقدسا احتلته قديما صورتا حوروس وأوزيرس ووضعتا في كل الكنائس وأما المعابد ذات الأهمية الكثيرة فكانت تذكارا للأحرا وبهذا جعل " بولس من " المسيحية دينا عالميا ، وليس دينا لبني إسرائيل فقط^(١)،

خامسا: ما بذره بولس في الديانة النصرانية

لقد بذر بولس في المسيحية عوامل ضعفها و خرابها: (لقد علمهم القسوة والوحشية، مع أن المسيحية- كانت متسامحة، ومن الأقوال المنسوبة إلى " عيسى " - عليه السلام- قوله" من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر " . . ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين " .

كما علمهم حب المال، وحب المادة و تقديسها، بما يتعارض مع تعاليم المسيحية و يناقضها، والتي فيها " إن الغنى لا يدخل ملكوت السموات " وفيها " اعطوا ما لقيصر لقيصر، وما لله لله " .

وعلمهم الحقد وحب الانتقام، مع أن المسيحية في حقيقتها تدعو إلى المحبة والخير وفيها " أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضكم " .

ثم جاء اليهود من بعد بولس، في الأزمنة المتأخرة، وعلموا النصارى الجشع والطمع واستعمال الربا و المضاربات التجارية غير الشريفة، وأدخلوا فيها فنون تكديس المال وجمعه بالطرق غير المشروعة وأدخلوا في المسيحية فكرة بيع صكوك الغفران، وصكوك الغفران ليست سوى أسهم ومستندات مالية،

(١) المسيحية، لأحمد شلبي، ص٩٨، باختصار، وتصرف.

معلقة الثمن، مؤجلة التسليم، تباع في بورصة الأطماع والشهوات والجشع، إنها لعبة يهودية لفساد الناس وإفسادهم، لأن من اشترى الجنة بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لا يتورع عن ارتكاب أكبر المعاصي والذنوب، بما قدمت يداه من مال، لا من أعمال، وقد بث اليهود في الأديان عموما أنه على المرء أن يخطئ حتى يتمكن من طلب غفران الله.

وهكذا فإن جل المذاهب والفرق المسيحية قد نشأت في أحضان اليهودية - ما عدا الكاثوليكية والأرثوذكسية- : بفعل يهود متمسحين، أو مسيحيين متهودين، وكلاهما يؤمن بالتوراة قبل الإنجيل، هذا إذا كان فيهم من يؤمن بالإنجيل حقيقة^(١).

وبعد ذلك استشرى الصراع بين الكاثوليك والبروتستانت يغذيه مكر اليهود وخبثهم وعطفهم على البروتستانت: (الذين آمنوا بنبوءات التوراة المزيفة ونشروها، وألحوا على مسيحي أوروبا لتصديقها، ووقعت الحروب الدينية، وعقدت محاكم التفتيش، ودستورها جميعا الروح التي تملئها التوراة، وتعاليم اليهود التلمودية، وسالت دماء مئات الألوف من النصارى في حرب طاحنة ابتلعت أكثر من نصف مليون مسيحي، وابتعدت الكنيستان الكاثوليكية والبروتستنتية عن تعاليم المسيح السمحة، ولعبت بهما أصابع اليهود التي لو أزيلت لكان الاختلاف بين الكنيستين واهيا وظيفيا لا يستحق أن يراق في سبيله دم أي مسيحي)^(٢).

(١) القوى الخفية، لسنقرط، ص ٧٥، والمسيحية د/احمد شلبي. ٧٤ بتصرف

(٢) الأفعى اليهودية، لعبد الله التل، ص ٥٨.

لقد طور بولس فكرة المسيحية من الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية، وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة، وقد اقتبس بولس كثيرا من الطقوس الوثنية من الديانات الأخرى؛ ليضمن نشر ديانته بين أصحاب تلك الديانات دون أن ينفروا منها.

إنه " بولس " الذي طمس معالم رسالة المسيح وغيّر المسيحية، وقد تعاون في ذلك مع أبناء دينه من اليهود في القضاء على الديانة المسيحية .

المرحلة الثانية:

مرحلة القس مارتن لوثر

رغم التغييرات الجوهرية التي أحدثها القس بولس الرسول في الديانة المسيحية، إلا أن نظرة المسيحيين لليهود كانت متسمة بالعداء، فقد ظل اليهود في نظر المسيحيين أمة ملعونة؛ لأنهم - في اعتقاد المسيحيين - من قتلوا المسيح عيسى عليه السلام، وبناء على ذلك فقد عانى اليهود صنوفا من الاضطهاد والازدراء على أيدي النصارى، في فترات مختلفة من فترات التاريخ، ومن ذلك أن القدس لما سقطت بأيدي الحملة الصليبية قام النصارى بإحراق اليهود في معابدهم، وفي العصور المتأخرة لما علم النصارى بخبث اليهود وخطورتهم تم طردهم من كثير من البلاد الأوربية، ونكلوا بهم شر تنكيل، ومن آخرها ما قام به هتلر المانيا من حرقه لليهود بما عرف بمحرقة اليهود في القرن العشرين الذي مضى، وقد كان النصارى إلى وقت قريب يقولون: (يعتبر اليهود خطراً على جميع شعوب العالم، وخاصة الشعوب المسيحية، ويقولون: يتضمن التلمود كل الكفر والإلحاد والخسة)^(١).

ومن أهم المراحل التي مرت بها الصهيونية العالمية مرحلة القس مارتن لوثر، وهذه المرحلة سوف نتناولها في النقاط الآتية:

(١) الأصولية الإنجيلية، لمحمد السماك، ص ١١.

أولاً: الصراع اليهودي النصراني

وقد مثل العام ١٢٩٠م ذروة الصراع المسيحي اليهودي في أوروبا، إذ أصدر ملك إنجلترا (إدوارد الأول) مرسوماً يفرض بموجبه على يهود إنجلترا الدخول في الدين المسيحي أو الرحيل النهائي عن أراضي المملكة البريطانية، وتبعه في ذلك ملك فرنسا (فيليب الأول) في العام ١٣٠٦م، وهذا يعكس كره الأوروبيين المسيحيين لليهود، مما أدى باليهود إلى اعتناق المسيحية ظاهرياً والبقاء على يهوديتهم باطنياً، فاليهودي الذي (يتعمد ظاهراً ويحمل اسماً مسيحياً، يستطيع أن يعمل بحرية تامة على بث الفتن والشكوك، يحميه رداء الكهنوت المزيف، واليهودي الذي يعتقد المسيحية كاذبا، ويصل إلى مناصب الدولة العالية أو مناصب الجيش أو التعليم أو الفن، يستطيع أن يبث سمومه المخربة، وينفذ خطط اليهودية العالمية، بالاسم المسيحي الذي يحملة، ودين اليهود وعاداتهم وأخلاقهم تساعد، بل تأمر بالتقية، وأن يظهروا غير ما يبطنون، إذا كان في ذلك خدمة لدينهم و شعبيهم) (١).

واستمر هذا الوضع إلى القرن الخامس عشر الميلادي حيث ظهرت تحولات عميقة في نظرة المسيحيين إلى اليهود وهذا التحول ظهر بعد أن تمكن اليهود من تأسيس حركة دينية، ظاهرها مسيحي وباطنها يهودي، تطالب بإصلاح الكنيسة والحد من سيطرتها على مفاصل المجتمع وعرفت هذه الحركة بحركة (البروتستانت) وتعني المحتجين (باللاتينية) وكانت بقيادة القس مارتن لوثر، وهو قس ألماني ولد في عام ١٤٨٣، وقد درس اللاهوت في جامعة

(١) الأفعى اليهودية في معادل الإسلام، لعبد الله التل، ص٥٣، بتصرف .

ايرفورت" وقد أسس الكنيسة " اللوثيرية" والتي أصبحت من أكبر الكنائس البروتستانتية، وقد ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية، ويعتبر القس مارتن لوثر شخصية مهمة في تاريخ الكنيسة المسيحية، ولا يزال أثره موجداً إلى اليوم، وقد توفي في عام ١٥٤٦م^(١).

وقد كتب القس مارتن لوثر كتاباً بعنوان: (المسيح ولد يهودياً) قدم فيه رؤية تأصيلية للعلاقات اليهودية المسيحية من منظور مغاير تماماً لما اعتاده المسيحيون من قبل، فكان مما قال في كتابه: (إن الروح القدس شاعت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم. إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف الغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التي تأكل من فئات مائدة أسيادها)^(٢).

وقد قام القس مارتن لوثر بثورته الدينية وحركته الإصلاحية داخل الديانة المسيحية: (لإقرار هذه المبادئ:

١ - جعل الكتاب المقدس المصدر الوحيد للمسيحية، ورد كل ما جاء عن البابوات .

٢ - من حق كل مسيحي أن يقرأ الكتاب المقدس وأن يفسره.^(٣)

(١) مارتن لوثر، حياته وعصره، لروبرت كولب، ص ١٥.

(٢) المسيح ولد يهودياً، لمارتن لوثر، ص ٥١.

(٣) وفي ديار المسلمين حاول بعض المنتسبين إلى الإسلام استنساخ تجربة حركة الإصلاح الديني في أوروبا، التي قادها القس مارتن لوثر، وقد تزعم هذا التيار، محمد شحرور وأتباعه، حيث يقولون: بأنه من حق كل مسلم فهم القرآن وتفسيره، بحسب ما يظهر له، ولا داعي للعودة إلى أقوال المفسرين القدماء، ولهم في ذلك أقوال وتفسيرات غريبة للقرآن الكريم، لا يقرها نقل ولا يقبلها عقل.

٣- عدم اعترافه بنظام (البابوية).

٤- مطالبته بزواج القساوسة .

٥- عدم إيمانه بالأسرار الكنسية المزعومة؛ كمسألة الاستحالة .

ومما يلاحظ أنها هذه المبادئ ركزت على تغييرات شكلية لم تكن هي السبب في انحراف الكنيسة، وأبقت على جذور الانحراف والضلال من تحريف الكتاب المقدس، والصلب، والتثليث، وغير ذلك. فكانت ثورة شكلية انتفع منها اليهود، ولم ينتفع منها النصارى^(١).

ثانياً: تهويد النصرانية

لقد كان لحركة الإصلاح الديني "البروتستانتية" أثر كبير في إحداث تغيير في طبيعة العلاقة بين اليهود والنصارى: (ويظهر ذلك من خلال مما يلي: أولاً: كان النصارى -جميعهم- قبل عصر الإصلاح الديني بقيادة البابا يعادون اليهود ويقودون حملات التطهير والإبادة ضدهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ثانياً: حافظت الكنيسة الكاثوليكية -إلى عهد قريب- على موقف ثابت من المسألة اليهودية يقوم على رفض التصالح مع اليهود إلا إذا اعترفوا بالمسيح واعتنقوا النصرانية.

ثالثاً: لم يكن في الفكر الكاثوليكي التقليدي قبل عهد الإصلاح الديني أدنى مكان لاحتمال العودة اليهودية إلى فلسطين، أو لأية فكرة عن وجود الأمة اليهودية، وكان القساوسة يرفضون التفسير الحرفي للتوراة ويفضلون

(١) كيف تطورت العلاقة بين اليهود والنصارى من عداوة إلى صداقة؟، لسليمان الخراشي، ص ١٠.

تفسيرات لاهوتية أخرى وبخاصة المجازية التي أصبحت الأسلوب الرسمي للتفسير التوراتي:

فاليهود في نظر المسيحيين قبل حركة الإصلاح الديني كانوا مارقين كفار يجب اضطهادهم، ولما جاءت البروتستانتية "حركة الإصلاح" غيرت النظرة إلى اليهود بشكل جذري؛ فحصل اليهود من حركة الإصلاح الديني على ما لم يكونوا يحلمون به حيث: إن رياح التغيير في الموقف المسيحي تجاه اليهود بدأت تهب منذ ظهور الحركة الإصلاحية البروتستانتية في القرن السادس عشر، حين أطاحت هذه الحركة بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس وتحديد الرؤية المسيحية الفكرية، وبذلك تم إحياء النص التوراتي وبدأ التفسير الحرفي للنصوص المتعلقة باليهود يحل محل التأويلات والتفسيرات التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية الأم، وبدأت النظرة إلى اليهود تتغير تدريجياً^(١).

وقد تسربت الأدبيات اليهودية إلى صميم العقيدة والفكر المسيحي: (وكانت هذه الأدبيات تدور حول أمور ثلاثة:

الأمر الأول: هو أن اليهود هم شعب الله المختار، وأنهم يكونون بذلك الأمة المفضلة على كل الأمم.

(١) النبوة والسياسة، لغريس هالسل، ترجمة محمد السماك ص ٦، الصهيونية غير اليهودية، لريجينا الشريف، ص ٢٦.

الأمر الثاني: هو أن ثمة ميثاقاً إلهياً يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام هو ميثاق سرمدى حتى قيام الساعة.

الأمر الثالث: هو ربط الإيمان المسيحي بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيون، أي بإعادة وتجميع اليهود في فلسطين حتى يظهر المسيح فيهم^(١).

وهكذا ظهر اتجاه جديد في المسيحية يحيي الهالة التي أضفتها التوراة على بني إسرائيل، ويوجب على المسيحيين التدخل البشري؛ لتحقيق وعود يهودية واردة في التوراة، كما قام هذا الاتجاه الهائل بدعم اليهود والدعوة إلى قيام كيان لهم في فلسطين، كما تزعم هذا الاتجاه حركة الدعوة لانبعث اليهود وتسفيه التحقير المسيحي لليهودية والمطالبة بضرورة رفع الظلم والاضطهاد عن هذا الشعب المختار وفقاً للإيمان الحرفي بالكتاب المقدس.

ثالثاً: بين الصهيونية والنصرانية

ولقد حاولت الصهيونية -منذ وقت بعيد- تذليل المسيحية لأهدافها، وذلك بالربط بين العهد القديم والعهد الجديد، واحتواء البروتستانتية، وإخضاعها لمفاهيمها: (وقد حملت الصهيونية التلمودية على المسيحية، وحاولت التشكيك فيها بهدف احتوائها والسيطرة عليها من ناحية أخرى، ولقد كان هدف الصهيونية التحرر من القوانين التي فرضتها المسيحية على المجتمع

(١) الأصولية الإنجيلية، لمحمد السماك، ص ٤٤.

اليهودي داخل المجتمع المسيحي، وكانت الثورة الفرنسية والثورات الأوربية المختلفة عاملا على إحلال القومية والوطنية محل الدين، وبذلك انهارت هذه القيود، وتمكن اليهود في المجتمع الغربي كله من الانطلاق والعمل في مختلف المجالات، واستطاعوا السيطرة على الأحزاب السياسية وتوجيهها الوجهة التي تمكنهم من قيادة الأمم والدولة .

وقد تمكنت الصهيونية من السيطرة على التعليم والصحافة والثقافة وأجهزة الإعلام الغربية على النحو الذي مكنهم من أن يفرضوا على العقل الغربي مفاهيمهم، سواء بشأن السيطرة على فلسطين، أو بشأن تدمير مقومات الإنسان الأخلاقية والدينية، عن طريق الفلسفات والمذاهب الاجتماعية والاقتصادية، التي طرحوها وأعلوها وأعطوها من بين المذاهب المختلفة دفعة القوة والتمكين^(١).

رابعاً: دعم النصارى البروتستانت للصهاينة

قد يتسأل الكثير من المسلمين لماذا يدعم معظم العالم الغربي وخاصة التيار البروتستانت في الديانة النصرانية، دولة الكيان الصهيوني؟ وما هذه القوة التي يتمتع بها هذا الكيان ليبسط هيمنته على المجتمع الغربي، بهذه الطريقة العجيبة وخصوصاً على الولايات المتحدة الأمريكية؟ إن الإجابة عن ذلك تتمثل في: (إن اليهود قد أقنعوا المسيحيين الجدد (البروتستانت) أن هناك ثلاث مقدمات يجب أن تسبق عودة المسيح، وهذه المقدمات هي:

(١) الروتاري في قفص الاتهام، لأبي إسلام أحمد عبد الله، ص ٢٢٣ .

المقدمة الأولى: قيام دولة إسرائيل، وقد قامت إسرائيل في العام ١٩٤٨م؛ ولذلك اعتبر الصهيونيون المسيحيون في الولايات المتحدة هذا الحدث أعظم حدث في التاريخ؛ لأنه جاء مصداقاً للنبوءة الدينية.

المقدمة الثانية: احتلال مدينة القدس، ولقد احتلت إسرائيل القدس في العام ١٩٦٧ التي ينظر الإنجليون من الصهيونيين المسيحيين على أنها المدينة التي سيمارس المسيح المنتظر حكم العالم منها بعد قدومه الثاني ؛ ولذلك تضغط الكنائس الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة من أجل الاعتراف بالقدس عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، ولقد تجاوب مجلسا الشيوخ والنواب مع هذه الضغوط في إبريل - نيسان ١٩٩٠، واعترفوا بأن القدس العاصمة الأبدية لليهود، وفي عهد ترامب (الرئيس الأمريكي الحالي في عام ٢٠٢٥م).
المقدمة الثالثة: إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى، ولقد وضع الصهاينة خريطة الهيكل الجديد، فيما تتواصل الحفريات تحت المسجد؛ بحجة البحث عن آثار يهودية مطمورة، وفي الوقت نفسه يتم إعداد وتدريب كهان الهيكل في معهد خاص بالقدس، أما الأموال اللازمة فقد جمع معظمها وأودع في حساب خاص باسم مشروع بناء الهيكل.

ويزعم هؤلاء أنه بعد اكتمال المشروع، ستقع هرمجدون^(١) التي يظهر المسيح فوقها مباشرة وسيرفع إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة^(١).

(١) هر مجدون: هو اسم مكان في فلسطين، ويعتقد النصارى أنه سيقع فيه معركة فاصلة بين قوى الخير وقوى الشر، وبحسب العقيدة النصرانية فإنهم وحلفائهم هم قوى الخير، وأن أعداءهم قوى الشر،

مما سبق يتضح لنا كيف كان لحركة الإصلاح الديني الدور الأكبر والأساسي لتحويل مسار العلاقة بين اليهود والنصارى من صراع دموي إلى تحالف استراتيجي، وأصبح اليهود هم الحلفاء والأصدقاء للنصارى، والعجيب أن تنتشر هذه الدعوة في دول عديدة من دول أوروبا على رأسها إنجلترا التي أخذت على عاتقها مناصرة اليهود من خلال معتقداتها الإصلاحية الأصولية المسيحية اليهودية.

خامساً: نتائج حركة الإصلاح الديني في المسيحية

وقد نتج عن هذه الحركة انشقاق سياسي وعقائدي كبير داخل الديانة المسيحية بشكل عام، والكاثوليكية وبشكل خاص، وكان من نتائج هذه التحولات أن أصبحت المسيحية الجديدة التي عرفت باسم البروتستانتية ربيبة لليهودية: وبدأت نظرة المسيحيين الجدد (البروتستانت) تتغير تجاه اليهود الذين كانوا يصفونهم بأنهم الأمة الملعون، ولم يكن هذا الانشقاق داخل الكنيسة المسيحية بعيداً عن الصراعات الدينية بين الدول الأوروبية الكبيرة، كفرنسا وإنجلترا وألمانيا، فقد انحازت فرنسا إلى الكنيسة الكاثوليكية، بينما انحازت بريطانيا وألمانيا إلى اعتناق المذهب البروتستانتية الجديد الذي يدعو للتحرر من سلطة الكنيسة الكاثوليكية: (ومما يلاحظ أن الدول المسيحية تفاوتت في استيعابها لهذا التحول تفاوتاً كبيراً، قال الدكتور محمد الشنقيطي:

وهذه المعركة ستكون في آخر الزمان، وهذه المعركة لها تفسيرات أخرى من وجهة النظر الإسلامية، ينظر في ذلك، التفسير الكبير للكتاب المقدس، لميثو هنري ج ٧/ ١٠٥٠، وينظر، كتاب حمى سنة ٢٠٠٠، لعبد العزيز كامل.

(١) الأصولية الإنجيلية، لمحمد السماك، ص ٨٤.

فالبروتستانت (الأميريكيون والبريطانيون) تمثلوا هذا التحول كأعمق ما يكون، حتى أصبحت اليهودية جزءاً من لحمهم ودمهم، والكاثوليك (فرنسا وإيطاليا وإسبانيا) ظلوا أكثر تحفظاً إلى حد ما، ولذلك لم يبرئ الفاتيكان اليهود من دم المسيح إلا عام ١٩٦٦، أما الأورثوذكس (الأوروبيون الشرقيون) فلا يزالون يحتفظون بتلك النظرة المتوجسة تجاه اليهود واليهودية. وهذا ما يفسر التفاوت في المواقف السياسية: حيث التماهي مع الدولة اليهودية في أميركا وبريطانيا، وأخيراً في ألمانيا البروتستانتية، والتحفظ في أوروبا الجنوبية على السياسات الإسرائيلية، خصوصاً من طرف فرنسا أكبر الأمم الكاثوليكية الغربية والريبة في أوروبا الشرقية، وخصوصاً روسيا، لكن ما يهمنا هنا هو التماهي الأميركي مع الدولة اليهودية، ومحاولة فهمه^(١).

سادساً: هجرة النصارى البروتستانت إلى أميركا

بعد الحركة الجديدة التي أسسها القس مارتن لوثر (البروتستانتية)، لم يجد أتباع هذه الحركة مجالاً حيويًا لهم في أوروبا؛ بسبب قلة عددهم، وتعرضهم للاضطهاد في أوروبا، وخاصة من قبل أتباع الكنيسة الكاثوليكية: (فقد دعا "البابا ليو العاشر"، مارتن لوثر إلى روما في ٧ يوليو سنة ١٥١٨م فلم يلب الدعوة وردّ على نائبه ردّاً شديداً قاسياً ونشر أن البابا ليس معصوماً وأن الكتاب المقدس وحده هو القاعدة الحقيقية للتعليم المسيحي .

(١) المسيحية الصهيونية والسياسية الأميركية، للدكتور محمد مختار الشنقيطي، مقال منشور على موقع شيكه الجزيرة نت.

ثم دعاه البابا ثانياً إلى روما فلم يجب، فبادر إلى حرمانه فأحرق لوثر قرار الحرمان، فكان قرار مجمع ودمن سنة ١٥٢١م بطرد لوثر وإهدار دمه وحرمانه قراءة كتاباته وإحراقها، ثم لما التف الناس حوله قرر المجمع إلغاء ما سبق^(١)،

وإذا كان لوثر قد نجا بعض الشيء من هجمات الكاثوليك فإن أتباعه لم يسلموا من صراع دموي رهيب اضطرهم في كثير من الأحيان إلى الهجرة خارج أماكن الصراع هرباً بمعتقداتهم من الفتنة: (وإذا كانت محاكم التفتيش في الأندلس قد دفعت باليهود إلى أوربا؛ هرباً بدينهم فإن الصراع الديني في أوربا حمل مطلع القرن السابع عشر المتهودين الجدد إلى العالم الجديد" أمريكا التي اكتشفت سنة ١٤٩٢م، ويشكل البروتستانت الآن الغالبية من مسيحيي أمريكا^(٢)).

وكان لهجرة البروتستانت آثار مباشرة وواضحة في بلورة الشخصية الأمريكية بالصورة التي نراها عليه اليوم: (وقد انتشرت "البروتستانتية" في أوربا وأمريكا وعلى إثر ذلك تشكلت أكبر قوة معادية للإسلام بدت في أشكال تحالفية ضد الدين الحق ساعية إلى تحقيق وعود مفتراة غير عابئة بقيم أو أخلاق أو إنسانية).

(١) المجامع الكنسية: ص ٤٤٦ باختصار.

(٢) الأصولية الإنجيلية، لجيمس بار، ص ٦٩، الصهيونية المسيحية، لبولمركلي، ص ٣٧، والإسلام والصراعات الدينية، لحافظ عثمان، ص ١٤١، والحملة الصليبية على العالم الإسلامي، لجون باجوت غلوب، ص ٨٩.

وقد تم تزوير هذا الدين الجديد (البروتستانت) من أحبار اليهود، وقالوا: بأن المسيح سيعود وهناك شروط لعودته وهي وجود دولة لليهود في فلسطين، ووجود الهيكل فيها وبدون تحقيق هذين الشرطين لن يعود المسيح، وهذا التيار في أمريكا يسمى باليمين المتطرف وكذلك بالصهيونية المسيحية، ويشكل أكثر من ١٧٠ مليون أمريكي منخرطون في هذا التيار^(١).

سابعاً: هجرة اليهود إلى أمريكا

هاجر اليهود إلى الولايات المتحدة عبر ثلاث مراحل:(المرحلة الأولى هجرة اليهود السفارديم من أسبانيا والبرتغال، والثانية هجرة اليهود الألمان بعد ١٨٤٠م ، ثم الهجرة الكبرى من أوروبا الشرقية بعد عام ١٨٨٠م ، ثم تكاثر اليهود حتى وصل عددهم بحلول عام ١٩٢٠م، الى ثلاثة ملايين ونصف المليون ، ومنذ ذلك الوقت بدأ اليهود بتأسيس الجمعيات الأخوية والوكالات الاجتماعية والمعابد والمدارس وقاموا بتطوير المنظمات الصهيونية من أجل السعي لتحقيق الحلم الصهيوني بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ولعبوا دوراً أساسياً في تغذية الصهيونية السياسية منذ ظهورها وممالا يعلمه الكثيرون أن أول مؤتمر صهيوني إنما عقد في مدينة كاتوويتز بالقرب من الحدود الروسية ، ٦/١١/١٨٨٤م ، وقرر المجتمعون استعمار فلسطين بفلاحين يهود ، لكن مؤتمر بال أو بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م ، كان الانطلاقة الحقيقية ، وقد حضر المؤتمرين ممثلون عن يهود أمريكا،

(١) الصهيونية المسيحية، والتحالف المقدس، لمحمد السماك، ص ٦٦ .

حرص اليهود في أمريكا على تأسيس ما يسمى (البلاط اليهودي) ويقصد به (ذوو الثراء والنفوذ الذين لهم تأثير كبير) ، كما فعلوا في أوروبا من قبل ، وليس بمستغرب إذن أن يوافق الكونغرس في ٢٠ / ٦ / ١٩٢٢ م على وعد بلفور وجاء في قراره (إن الولايات المتحدة تفضل إقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي) .

ولإحساس زعماء الصهاينة بأن الولايات المتحدة سوف تكون القوة الجديدة القوية بعد الحرب العالمية الثانية اتجه اهتمامهم البالغ إليها ، ولهذا السبب قرر المؤتمر الصهيوني ضرورة أن يكون هناك ٤٠% من الأعضاء المشتركين في المجلس الصهيوني من الولايات المتحدة .

ومن العجب أن المؤتمر الذي عقده مجلس الطوارئ التابع للمنظمة الصهيونية في أمريكا (نيويورك) عام ١٩٤٣ م صدر عنه ثمانية قرارات أخطرها : ضرورة الاعتراف بعلاقة الشعب اليهودي التاريخية بفلسطين، والاعتراف بحقهم في الدفاع عنها ، والقرار الثالث هو عدم إمكان قيام نظام العالم الجديد على أسس السلام والعدالة والمساواة إلا بحل مشكلة التشرذ اليهودي حلا نهائيا .

واستطاع اليهود ربط مصير النظام العالمي بقضيتهم بمكر عجيب، وتحقق لهم ذلك ، فقد صدر قرار التقسيم من عصبة الأمم وتم الإقرار عالميا بحق اليهود في جزء من فلسطين ، وانطلقوا من هذه النقطة إلى أطماعهم الأخرى .

وأعلن رئيس المنظمة الصهيونية الحاخام (جولد ستير) (بأن مهمة الحركة الصهيونية من الآن فصاعدا هي اكتساب موافقة الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكي على البرنامج الصهيوني الخاص بفلسطين.

وعندما تم إعلان قيام دولة إسرائيل قال أحد أعضاء المنظمة المسؤولة عن التمويل اليهودي في أمريكا سائلا بن غوريون عما تطلبه إسرائيل من يهود أمريكا ، فأجاب الأخير: الدولة الجديدة سوف تحتاج عون الولايات المتحدة لتستطيع البقاء ، ومن ثم استمر الدعم الأمريكي اللامحدود لإسرائيل^(١).

ومما سبق يتبين لنا إن المحتوى العقدي (للبروتستانتية) ليس له أية علاقة بالمسيحية؛ لأنه مزيج من اليهودية المزورة والمسيحية المحرفة، والبروتستانت يعتبرون اليهودية والمسيحية دين واحد نزل على مرحلتين العهد القديم والعهد الجديد ويكملان بعضهما البعض ويطبعون الكتابين في كتاب واحد تحت مسمى (العهد القديم والعهد الجديد).

ولكي يظهر البروتستانت التصالح اليهودي المسيحي، فقد أعفوا اليهود من دم المسيح، وهم الآن في الكنائس يدعون لإسرائيل ويجمعون التبرعات لدولة الكيان الصهيوني ويفرضون على الحكومة الأمريكية مساندة إسرائيل لكي تبقى تمهيدا لعودة مسيحهم المنتظر.

(١) موسوعة العلوم السياسية، ص ٣٤ طبع جامعة الكويت

المرحلة الثالثة:

مرحلة تيودور هرتزل

من المرحلة السابقة يتبين أن اليهود بعد حركة الاصلاح الديني التي قادها القس مارتن لوثر، وجدوا من يناصرهم ويتحالف معهم بعد أن كانوا مضطهدين، وبهذا تكون الصهيونية قد ولدت في أحضان البروتستانتية، وهنا جاءت المرحلة الثالثة من المراحل التي مرت بها الحركة الصهيونية، وهي مرحلة تيودور هرتزل، والتي جاءت ليكمل فيها بناء الصهيونية العالمية، وهذه المرحلة سوف نتناولها في النقاط التالية:

أولاً: مولد هرتزل

(ولد تيودور هرتزل عام ١٨٦٠ في بودابست، المجر، ودرس القانون في جامعة فيينا، عمل كصحفي ومحرر في إحدى الجرائد، في فيينا، في عام ١٨٩٥، كلف هرتزل بتغطية محاكمة درايفوس في باريس، وهي القضية التي أثارت جدلاً كبيراً في فرنسا وأوروبا. خلال هذه الفترة، بدأ هرتزل يفكر في مشكلة اليهود في أوروبا وإيجاد حل لها.

في عام ١٨٩٦، نشر هرتزل كتابه "الدولة اليهودية"، الذي طرح فيه فكرة إنشاء دولة يهودية في فلسطين، كان هذا الكتاب بداية للحركة الصهيونية المعاصرة، وفي عام ١٩٠٢ أصدر كتابه "أرض قديمة جديدة".

ويعد هرتزل مؤسس الصهيونية المعاصرة، وهي الحركة التي سعت إلى إنشاء دولة يهودية في فلسطين

ففي عام ١٨٩٧، نظم هرتزل المؤتمر الصهيوني الأول في بازل، سويسرا، الذي جمع ممثلين من اليهود من جميع أنحاء العالم. وكان هذا المؤتمر بداية للحركة الصهيونية العالمية المعاصرة.

ومن أهم إنجازات هرتزل:

- تأسيس الحركة الصهيونية المعاصرة

- تنظيم المؤتمر الصهيوني الأول

- وضع الأسس للحركة الصهيونية العالمية

وفي عام توفي هرتزل ١٩٠٤، لكن أفكاره وحركة الصهيونية التي أسسها استمرت في النمو والتطور. في عام ١٩٤٨، تم إنشاء دولة إسرائيل، التي أصبحت واقعا بعد عقود من النضال والجهد الصهيوني^(١).

ويعد هرتزل الداعية الأول للصهيونية المعاصرة؛ لأن الحركة الصهيونية المعاصرة تقوم على آرائه وأفكاره، قال الأستاذ عبد الوهاب المسيري: (ظلت الصهيونية حتى نهاية القرن التاسع عشر مجرد فكرة، ولكنها تحولت إلى حركة منظمة بعد مرحلة هرتزل وبلفور، ومضمونها أن يتم التوظيف من خلال دولة وظيفية بحيث تشرف على العملية إحدى الدول الاستعمارية الكبرى في الغرب، التي تؤمن للمستوطنين موطناً قدم وتضمن بقاء واستمرار الدولة

(١) هرتزل، حياته، وأوقاته، لروبرت إس. ويستل، ص ٢٦.

الوظيفية الاستيطانية، ومع وعد بلفور، يصبح المكان الذي ستقام فيه الدولة الوظيفية هو فلسطين وتتحول الصيغة الأساسية إلى الصيغة الشاملة^(١).
ظهرت هذه المرحلة إلى الوجود في منتصف القرن التاسع عشر، وقد تميزت هذه المرحلة ب بروز الرواد الأوائل للحركة الصهيونية، وهم الذين أسهموا إسهامات فعالة في بعث هذه الحركة وتحويلها إلى حركة عنصرية عالمية شغلت العالم بأساليبها الماكرة التي اتبعتها لتهيمن على مقدرات الشعوب وتوسع سلطانها على أكبر بقعة من الأرض.

وقد استمت هذه المرحلة بالبحث عن نصوص اليهود الدينية المحرفة، والتي يزعمون أنها تنص على ضرورة إقامة دولة لليهود في أرض فلسطين، جاء في سفر يشوع: (كلم الرب موسى من البرية ولبنان وقال له: من هنا إلى النهر الكبير نهر الفرات جميع الأرض تكون لكم ومن البحر الكبير نحو مغرب الشمس تكون ملكا لكم)^(٢).

وجاء في سفر التكوين: (لما رأى اليهود أن وعد الإله لم يتحقق لإبراهيم قالوا: إن الرب ظهر لإسحاق وهو ذاهب إلى ملك الفلسطينيين وقال له: لا تنزل إلى أرض مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد، وأني بالقسم الذي أقسمت لأبيك إبراهيم)^(٣).

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، لعبد الوهاب المسيري، (١٦ / ١٧)،

(٢) سفر يشوع الإصحاح الثالث، فقرة (٦٠).

(٣) سفر التكوين، الإصحاح الثاني، فقرة (٧١).

وخلال هذه المرحلة نشأت جمعيات ومنظمات وحركات يهودية بارزة، كان هدفها الترويج والتمهيد للحركة الصهيونية، وإقامة مشاريع الاستيطان في فلسطين، ومن أهم هذه الجمعيات على سبيل المثال :

أ-جمعية رعاية الاستيطان اليهودي في فلسطين، وتأسست عام ١٨٦٠م

ب - منظمة أحباء صهيون، وتأسست عام ١٨٨٢م

ج - حركة الإصلاح اليهودي، وتأسست عام ١٨٨٤م

ثانياً: التأسيس للحركة الصهيونية المعاصرة

تأسست الحركة الصهيونية المعاصرة من خلال مؤتمر بال، وقد عقد هذا المؤتمر في مدينة بال في سويسرا عام ١٨٩٧م وقد ترأس هذا المؤتمر مؤسس الحركة الصهيونية المعاصرة تيودور هيرتزل وقد احتفظ بهذا المنصب حتى المؤتمر السادس للحركة، قال الأستاذ محمد قطب: (في عام ١٨٩٧ عقد هرتزل مؤتمره الشهير في مدينة " بال " بسويسرا ، ذلك المؤتمر الذي قرر فيه زعماء اليهود ضرورة إنشاء الدولة الصهيونية خلال خمسين عاما في فلسطين .

وذهب هرتزل إلى السلطان المسلم عبد الحميد يعرض عليه كل المغريات التي يطمع فيها أي حاكم أرضى ذهب يعرض عليه إنعاش الاقتصاد العثماني الي كان متدهورا؛ بسبب ما تنفقه الدولة لإخماد المناوشات المستمرة التي يقوم بها الأعداء لإحراج الدولة العثمانية أو " الرجل المريض " كما أطلقوا عليها في أواخر أيامها، وقد عرض عليه قروضا طويلة الأجل، كما عرض عليه التوسط لدى روسيا وبريطانيا بالكف عن إثارة الأقليات، فقد كانت روسيا

تتعهد بإثارة الأقليات الأرثوذكسية، وخاصة الأرمن، وكانت بريطانيا تتكفل بإثارة بقية الأقليات، وكان ذلك من أشد ما يزعج الدولة ويعرض ميزانيتها للخراب، وفي مقابل هذا العرض السخي كله طلب هرتزل منح اليهود وطناً قومياً لهم في فلسطين .

وكان من المتوقع من أي رجل يحرص على الدنيا، ويحرص على السلطان المستبد أن يتقبل العرض ويستجيب للمغريات، ولكن السلطان المسلم رفض ذلك كله، وقال لهرتزل قولته الشهيرة : إن هذه ليست أرضي ولكنها أرض المسلمين، وقد رووها بدمائهم، ولا أملك أن أتنازل عن شبر واحد منها؛ عندئذ وقعت المؤامرة، ودبر اليهود لخلع السلطان عبد الحميد، ثم لإزالة الخلافة كلها على يد اليهودي المتظاهر بالإسلام كمال أتاتورك^(١).

ثالثاً: أهم نتائج مؤتمر بال

دعا هرتزل إلى إقامة مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م ١٣١٥هـ، ورسم لليهود طريق العودة للقدس وكان ذلك في مؤتمر (بال) بسويسرا وظهرت في هذا المؤتمر قرارات: (وتعد هذه القرارات من أخطر القرارات اليهودية على الأمة الإسلامية والعربية لأنه بمثابة الدستور العملي لهذه المرحلة من الآمال الصهيونية وقد تمثلت القرارات في النقاط التالية :

١_ لا بد من إقامة دولة يهودية في أرض فلسطين على اعتبار أنها أرض الميعاد.

(١) مذاهب فكرية معاصرة، لمحمد قطب ٢ / ١٨٧.

٢_ أن تكون السيطرة على أرض فلسطين من خلال خطوات ومراحل زمنية معينة، وضع لها هرتزل جدولاً زمنياً .

٣- لا يصح أن نكتفي بهذه الأرض المقدسة بل لا بد من استيعاب الأطراف التي تحيط بها وتشمل المناطق الممتدة من النيل إلى الفرات وتشمل :

إقليم الوجه البحري من مصر وسيناء

بقية أرض فلسطين

والجزء الغربي من العراق

التهام سوريا ولبنان .

السيطرة على بادية الشام والأردن .

احتلال شمال الحجاز حتى المدينة المنورة^(١).

وحلم اليهود بالاستلاء على كل هذه الأراضي من بلاد العرب والمسلمين، لم يكن اليهود يصرحون بذلك ، حتى جاءت أحداث غزة بعد طوفان الأقصى، والذي أطلقه أبطال غزة في عام ٢٠٢٣/١٠/٧، وأحداثه لا تزال جارية حتى كتابة هذا الكلمات في تاريخ ٢٠٢٥/٩/٢٠، وخلال هذه الحرب بدأ الصهاينة ينشرون خرائط عليها حدود ودلتهم الكبرى، وحدودها من النيل إلى الفرات، ويظهرون ذلك بكل وضوح وبدون موارد، وسط صمت عربي وإسلامي مريب!

(١) موسوعة المخيمات الفلسطينية، ص ٣٤، المؤتمر الصهيوني الأول، على موقع ويكيبيديا العربية.

رابعًا: القرارات السرية والعلنية في مؤتمر بال

نتج عن مؤتمر (بال) جملة من القرارات الصهيونية، السرية والعلنية، وسوف نتناول هذه القرارات على النحو الآتي:

أ - القرارات العلنية

- ١- تشكيل لجنة العمل، ومهمتها تبني المفاوضات وعقد الاتفاقات وكل المساعي الممكنة لفرض إقامة دولة يهودية .
- ٢- تأليف المصرف الاستعماري اليهودي برأس مال قدره مليون جنيه إنجليزي، على أن يوضع تحت تصرف لجنة العمل.

ب . القرارات السرية

- ١- إن على اليهود اعتبار الجماعات الأخرى قطعانا من الماشية، يجب أن يكونوا ألعوبة في أيدي حكام بني صهيون.
- ٢- السعي الحثيث لإضعاف الدول القائمة بنقل أسرارها إلى أعدائها، وببذر بذور التفرقة والشقاق بين حكامها بواسطة الجمعيات السرية.
- ٣ يجب أن يكون ذهب العالم في أيدي اليهود؛ حتى يمكن السيطرة على الصحافة والمسرح والمضاربة والعلم والشريعة لإثارة الرأي العام، وإفساد الأخلاق، والتهيج للرذيلة ولملاقة كل ميل إلى التهذيب المسيحي، ولتشديد عبادة المال والشهوة .-
- ٤- تدعيم النظام السري في كل بلد من العالم؛ حتى يأتي يوم تسيطر فيه الدولة اليهودية على الدول الأخرى.

٥- ربط الجمعيات اليهودية بكافة المنظمات الدولية والسياسية لاستغلالها في الغرض ذاته.

٦- استعمال كافة الوسائل، دول، وشخصيات، بهدف إقامة دولة صهيون على أرض فلسطين.

٧- اللجوء إلى التملق والتهديد والمال في سبيل إفساد الحكام والسيطرة عليهم .

٨- التظاهر في المجتمعات التي تحتقر اليهود بالشخصية المسيحية مع الإيمان السري بأن المسيحية هي عدوة اليهودية .

هذه هي المقررات السرية والعلنية التي صدرت عن المؤتمر الأول، والتي عملت الصهيونية جاهدة على تحقيقها، وبالفعل طبقت الأكثرية منها، وتعد المقررات السرية أشد خطرا على الإنسانية جمعاء لما فيها من مطامع وأحلام بغیضة

وهناك مقررات سياسية أخرى تضمنت الوسائل الكفيلة بتجميع يهود العالم " الشتات " في الوطن المزعوم، وتنظيم العلاقة مع الشعب اليهودي^(١).

خامساً: مرحلة ما بعد مؤتمر بال

تميزت هذه الفترة بنشاط مكثف؛ لترسيخ الأسس النظرية للصهيونية العالمية، وبالنشاط العلمي الدؤوب من قبل روادها وعلى رأسهم " تيودور هرتزل " (كذلك بروز جمعيات ومنظمات انبعث بعضها من المؤتمر الأول، والأخرى تأسست لخدمة الأهداف التي تبناها المؤتمر ذاته دون أن يوصى بتأسيسها،

(١) الاتجاهات التعصبية، د/ معز سيد عبد الله ص ٢٣٦ .

وكان لهذا النشاط أثره في صدور اتفاقية " سايكس بيكو " عام ١٩١٦م التي مزقت الوطن العربي شر تمزيق، وكذلك الحصول على وعد " بلفور " عام ١٩١٧م، وذلك بإقامة وطن قومي للصهيونية في فلسطين، وبدأ توطين اليهود في فلسطين حتى عام ١٩٤٨م، عندما أعلنت دولة إسرائيل في وقت لم يكن عدد اليهود أثناءه يتجاوز ٦٢٩ ألف نسمة، مقابل (٣١٩،٠٠٠) مليون وثلاثمائة وتسعة عشر ألف)، نسمة من العرب^(١). وقد فضلت الحركة الصهيونية إطلاق اسم إسرائيل على دولتها المقامة، مفضلة ذلك على الاسم الذي كان هرتزل قد اختاره وهو "دولة اليهود " (والأسباب التي دعتهم إلى ذلك كثيرة، من أهمها :

١- - عدم الرغبة في التذكير بالحدود القديمة لمملكة اليهود البائدة، التي لم تكن تشمل إلا القسم الجنوبي من فلسطين من دون البحر، بما يمثل قيادا تاريخيا للمطامع التوسعية الاستعمارية للصهاينة الذين يريدون أن يضعوا تحت قبضتهم أوسع رقعة ممكنة من الوطن العربي

٢ - إثارة الصفة العنصرية الكامنة في اسم إسرائيل على الصفة الدينية في لفظة اليهود .

٣ - إيجاد تناسق بين اسم الدولة والاسم العبري لفلسطين، وهو أرض إسرائيل^(٢).

(١) الصهيونية العالمية، لعباس العقاد، ص ٤٥ باختصار، وتصرف.

(٢) الشخصية الإسرائيلية، حسن ظاظا، ص ١٩، باختصار.

سادساً: إقامة الدولة الصهيونية

بعد مؤتمر بال أصبح على رأس سياسات الدول البروتستانتية، وفي مقدمتها أمريكا وبريطانيا، دعم قيام دولة لليهود على أرض فلسطين؛ فهذا انهالت المساعدات المتنوعة لأجل ذلك حتى تحقق ذلك بعد وعد بلفور الشهير وزير خارجية بريطانيا عام ١٩١٧م: (ولم تقف بريطانيا عند حدود الكلام والوعود، بل شرعت في التنفيذ عملياً، وذلك بمساعدة عصبة الأمم، وما فرضته من انتداب على فلسطين وتسهيل هجرة اليهود إليها ثم تمكينهم من إحكام قبضتهم عليها وتسليمها لهم، وأروبا تعلم ذلك كله وتباركه، ووقفت بريطانيا محتضنة للصهيونية نظرياً حيث تعهدتها منذ بذرتها الأولى، وعملياً حتى تسليمها لليهود أرض فلسطين بعد إنهاء الانتداب في ١٤ مايو ١٩٤٨م ليعلن عن قيام دولة إسرائيل في ١٥ من نفس الشهر^(١).

من أجل ذلك فلا عجب: (أن اختار حاييم وايزمان - وهو يهودي بريطاني، وشغل منصب أول رئيس لدولة إسرائيل بعد قيامها في ١٩٤٨م - لندن مقراً للصهيونية العالمية، دون أن تعترض عليه أي دائرة سياسية بريطانية، ولا نعجب أيضاً إذا سمعنا هرتزل يقول: "إنني لأول لحظة انضمت فيها إلى الحركة الصهيونية اتجهت عيناى إلى إنجلترا؛ لأنني رأيت بسبب الأحوال العامة أن في إنجلترا نقطة الارتكاز التي يمكن أن تتحرك عليها الرافعة"^(٢).

(١) اليهودية/ أحمد شلبي ص ١١١، وفلسطين وصراع القوى، لمحمد عطا ص ١٦، والطريق إلى بيت المقدس، لعبد الله بن محمد بن خميس ج ٢/ ص ٥٥.

(٢) فلسطين والمواقف العربية والدولية، لإبراهيم المسلم ص ٦٥، ومؤامرة فلسطين، لجنسين ج ١ ص ٦٥.

ومع أن إنجلترا كانت أول الدول وأشدّها حماسة للصهيونية نظرياً وعملياً إلا أن دولاً أوروبية كثيرة لم تكن أقلّ حماساً من بريطانيا (فرنسا مثلاً كانت من أول من طرح بشكل جدي فكرة توطين اليهود في فلسطين، فبعد أن نجحت الثورة الفرنسية، والتي قادها وأشعلها الماسونيون بالإطاحة بـ (لويس السادس عشر) وتأسيس الجمهورية الفرنسية، أماطت هذه الثورة اللثام عن وجهها الاستعماري القذر لتفرز نابليون بونابرت، وقد بدأ أولى غزواته الاستعمارية في العام ١٧٩٨ م نحو الشرق لمصر وفلسطين، حيث ارتكب المجازر في غزة ويافا، وهو أول من طرح فكرة إقامة دولة لليهود في فلسطين وذلك قبل مائة عام على المؤتمر الصهيوني الأول^(١).

ومما سبق يتبين لنا أن مرحلة تيودور هرتزل، هي أهم مرحلة من المراحل التي مرت بها الحركة الصهيونية المعاصرة؛ وذلك لأنها تعتبر المرحلة التي تأسست فيها الصهيونية المعاصرة، وتكون لها بعد ذلك كيان على أرض فلسطين التي تم احتلالها في عام ١٩٤٨.

(١) تاريخ مصر في عهد الملة الفرنسية، لجورج زيناتي، ص ٥٠، باختصار، وتصرف.

المرحلة الرابعة:

مرحلة التبني الأمريكي للصهيونية العالمية

يرى بعض الدارسين أن التيار البروتستانتي في الديانة المسيحية هو الذي دعم فكرة إنشاء دولة لليهود في أرض فلسطين؛ بناء على نبوءات كاذبة ضمنوها كتبهم المحرفة: (واستدلوا على ذلك أن هرتزل مؤسس الصهيونية في العصر الحديث كان رجلاً علمانيا لا يؤمن بمثل هذه النبوءات، وكان مستعداً لإقامة دولة لليهود في العراق أوفي اوغندا أوفي الأرجنتين أوفي كندا، أما المسيحيون الصهاينة في أميركا وأوروبا وغيرهما، فقد آمنوا بوجود إقامة دولة لليهود في فلسطين، واعتبروا ذلك شرطاً من شروط "عودة المسيح؛ ولذلك فقد انتقدوا الموقف المتساهل لهرتزل، والمؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام ١٨٩٧، حتى إن بلاكستون أرسل إلى هرتزل نسخة من العهد القديم، وقد علّم على صفحاتها، مشيراً إلى الفقرات التي عين فيها النبيون فلسطين تحديداً بأنها الوطن الموعد للشعب المختار.

ولم تدخل أميركا الحرب في ١٩١٧م إلا لأن اليهود رغبوا في ذلك، فلما كانت انجلترا على وشك أن تخسر الحرب قدم لها اليهود مساعدة أميركا بشرط أن تهبهم فلسطين، وأجبرت انجلترا على الموافقة، وقد تم هذا مخالفاً لما حذر منه المسيح الذي حذر بأن: (منزلكم اليهودي سيبقى مهجوراً، وبفضل اليهود تحدث أميركا أوامر المسيح)^(١).

(١) المسيح اليهودي، لرضا هلال، ص٩٩، حكومة العالم الخفية، لشريب سبريد وفيتش، ص١٨٢، باختصار وبتصرف.

وبعد قيام دولة الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨م دعمها التيار البروتستانتى في الديانة المسيحية، ووقف معها في كل مراحل نشأتها في حربها وسلمها، وتنامى هذا الدعم خاصة من الجانب الأمريكى، حتى أنه وصل إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، رئيس يؤمن بضرورة تحالف التيار البروتستانتى من المسيحية، مع اليهود، ففي عام ١٩٧٤م وصل إلى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية الرئيس جيمي كارتر، وفي عام ١٩٧٩م القى خطابا له أمام الكنيست الإسرائيلى والذي عبر عن حقيقة الرباط العقدي بين اليهود والمسيحية الأمريكية قال في خطابه: (إن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة، لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة، وهي علاقة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة في وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى)^(١).

وكان للرئيس (كارتر)، مع وزير خارجيته اليهودي (هنري كيسنجر) جهود جبارة في عقد اتفاقية كمبد ديفيد، بين مصر ودولة الكيان الصهيوني، وقبل زيارته لمصر عبر عن سعادته بهذه الزيارة، واعتبرها أول زيارة ليهودي لمصر بعد خروجهم منها، وذكر ان القدس ستكون العاصمة الأبدية لليهود، حيث قال: (إنني أشعر بالسعادة؛ لكوني أول زعيم يهودي مسؤول يزور مصر منذ أيام الملك سليمان، إن الملك سليمان زارها ليتزوج من ابنة فرعون مصر؛ ليوطد التحالف بين البلدين، وإنني أزور مصر الآن؛ لأوطد التحالف مرة أخرى، إن القدس عاصمة إسرائيل وستبقى إلى الأبد عاصمة لإسرائيل، لقد

(١) المسيح اليهودي، لرضا هلال، ص ١٦٦.

وحدنا القدس، ولن نسمح لأحد أن يعيد تقسيمها، ونحن على استعداد لخوض الحرب من أجل أن تبقى القدس الموحدة عاصمة لإسرائيل، وإذا حدث ذلك فإننا سنقاتل بإخلاص وحماسة تفوقان ما جرى أيام يهوذا المكابي الذي أنقذ القدس من السيطرة السورية عام ١٦٠ ق.م.

لقد عدنا إلى وطننا، الرابطة بين شعبنا وبين هذه الأرض رابطة أبدية، هذه الرابطة انعقدت في فجر التاريخ الإنساني وما انقطعت أبداً، فوق هذه الأرض أبدعنا ثقافتنا وحضارتنا! هنا نطق أنبيأؤنا بكلامهم المقدس، الكلام الذي ما يزال يسمع حتى هذا اليوم، والذي سمع من قبل في هذا المكان المحاط بالأسوار، هنا حكم ملوك يهوذا وإسرائيل، هنا أصبحنا شعباً، هنا شيدنا مملكة، وعندما أخذنا طريق المنفى مدفوعين إليه بالقوة، وعندما ابتعدنا عن أرضنا لم ننسَ هذه الأرض يوماً واحداً، كابدنا مرارة الفقر وآمناً بالعودة إليها منذ اليوم الذي لفظت فيه هذه الكلمات: عد، عد إلى صهيون، وعندما فكرنا بالعودة إلى صهيون كنا كأننا في حلم، وكانت قلوبنا مفعمة بالفرح، وهذا النشيد نغني به في كل البلاد التي كنا فيها في المنفى، ودوى دائماً في قلب كل منا).^(١)

ومن بعد الرئيس الأمريكي (جيمي كارتر) زادت قوة هذا التيار في الولايات المتحدة الأمريكية، وربما أصبح من شروط تولي رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، دعمه لفكرة قيام الدولة الصهيونية في أرض فلسطين، قال الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون: (إن التزامنا ببقاء إسرائيل التزاماً عميقاً فنحن

(١) خدعة التفريق بين اليهودية والصهيونية، لحسين مؤنس، ص ٥.

لسنا حلفاء رسميين، وإنما يربطنا معاً شيء أقوى من أي قصاصة ورق، إنه التزام معنوي، إنه التزام لم يخل به أي رئيس في الماضي أبداً، وسيبقى به كل رئيس في المستقبل بإخلاص، إن أمريكا لن تسمح أبداً لأعداء إسرائيل الذين أقسموا على النيل منها بتحقيق هدفهم في تدميرها^(١).

بل إن الرؤساء الأمريكيين في معركهم الانتخابية يتسابقون في كسب أصوات الناخبين ومقابل تعهدات يقدمونها في دعمهم المطلق لدولة الكيان الصهيوني، ومحاربة من يقف في طريقها: (ففي عام ١٩٨٠م وقعت منافسة انتخابية رئاسية بين (جيمي كارتر) رئيس أمريكا في ذلك الوقت، وكان مرشحاً عن الحزب الديمقراطي، وبين (رونالد ريجان)، وكان مرشحاً عن الحزب الجمهوري، ومرشح ثالث مستقل يسمى (أندرسون) وتبارى الثلاثة في إعلان التأييد المطلق لليهود، فلما اتهم ريجان منافسه كارتر بأنه يرفض وصف منظمة التحرير الفلسطينية بأنها منظمة إرهابية، هرول كارتر ليعلن أمام المؤتمر اليهودي "إن شيئاً لن يؤثر على التزام بلاده نحو إسرائيل، وإن القدس يجب أن تبقى موحدة إلى الأبد" وأخذ يتفاخر بما قدمه من مساعدات لإسرائيل خلال فترة رئاسته استجلاباً لرضا أسياده وتمشياً وإعلاناً لما يؤمن به^(٢).

وبناء على الانحياز المطلق الذي أبداه ريجان تجاه دولة الكيان الصهيوني، فقد فاز في هذه الانتخابات فوزاً ساحقاً على منافسة كارتر، حيث حصل

(١) نصر بلا حرب، لريتشارد نيكسون ص ٢٩١.

(٢) أمريكا وغطرسة القوة، لقدري قلججي ص ٥٥.

على ٤٨٩ صوتا انتخابيا، مقابل ٤٩ صوتا لجيمي كارتير، رغم أن كارتير كان مهندس السلام بين مصر وإسرائيل، وكان قد قال أمام الكنيست الإسرائيلي في مارس ١٩٧٩م (لقد أقام كلاً من إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية مهاجرون رواد، ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة)^(١). ولما أصبح ريجان رئيساً لأمريكا، (أكد أنه يؤمن بنبوءات التوراة، ومنها معركة هرمجدون).

ولعل (دونالد ترامب) الرئيس الحالي للولايات المتحدة الأمريكية في وقتنا الحاضر في عام ٢٠٢٦م خير مثال على عمق هذا التحالف الأمريكي الصهيوني، فرغم حرب الإبادة التي تشنها دولة الكيان الصهيوني على قطاع غزة، على مدار عامين كاملين، إلا أن الإدارات الأمريكية المتعاقبة، من الديمقراطيين والجمهوريين، تغاضت عن كل تلك الجرائم التي ارتكبتها الصهاينة بحق الشعب الفلسطيني عامة وأهل قطاع غزة خاصة، ودعموا الصهاينة بجسر جوي من السلاح والعتاد، ويستخدمون حق النقض (الفيتو) لمنع أي قرارات تصدر عن الأمم المتحدة فيها إدانة لدولة الاحتلال الصهيوني، وعطلوا كل الجهود الرامية لأن يأخذ الشعب الفلسطيني حقوقه المستتبة، وكل تلك الشواهد تدل على عمق هذا التحالف بين الصهاينة والمسيحية والمتصهينة.

(١) الأصولية الإنجيلية، لمحمد السماك ص ٩٠.

أولاً: الدعم الأمريكي لدولة الكيان الصهيوني

تبنت الولايات المتحدة الأمريكية دولة الكيان الصهيوني منذ قيامها، ودافعت عنها في كل المحافل الدولية، والحزبين الأمريكيين الكبيرين، الحزب الجمهوري والديمقراطي، رغم اختلافهما في بعض السياسات الداخلية والخارجية، إلا أن سياستهما الخارجية تجاه دولة الكيان الصهيوني ليس فيها خلاف كبير: (الحزب الجمهوري في أمريكا كمكون سياسي هو المعبر السياسي عن الصهيونية المسيحية، وقد وصل من أقطاب هذا التيار إلى سدة الحكم (رونالد ريغان) و (جورج بوش الأب) و(جورج بوش الابن) الذي بشر في غزوه للعراق بعودة الحروب الصليبية الى الشرق من جديد، وكذلك الرئيس الحالي (رونالد ترامب) والذي اعترف بالقدس كعاصمة للكيان تمهيداً لإنشاء الهيكل المزعوم .

أما المكون الثاني للصهيونية المسيحية وهو الحزب الديمقراطي، ويرى الحزب الديمقراطي في وجود الكيان الصهيوني امتداداً استعمارياً له وقاعدة عسكرية متقدمة لمشروعه الاستعماري في الشرق.

يرى هذا الحزب وجود إسرائيل ودعمها وبقائها وتفوقها شرطاً استعمارياً للتمدد والهيمنة الأمريكية وفرض العولمة على شعوب العالم والسيطرة على منابع النفط وثروات المنطقة وطرق التجارة الدولية، والحزب الديمقراطي الأمريكي هو حزب ماسوني بامتياز وهو الأكثر تشدداً في نشر العولمة وتمييط العالم حسب النموذج الأمريكي، وقيادة العالم وإعادة تشكيله وبناءه حسب الفلسفة الماسونية، وتفضيل الفرد كمحور للمجتمع ، وإلغاء القوميات

واللغات والثقافات والديانات وخصوصيات الشعوب وإعادة الإنسان في سلوكه إلى الإنسان الأول (انسان الغابات) تحت ما يسمى الديمقراطية وحقوق الإنسان، ويندرج تحت هذا المفهوم إجازة الإجهاض وتشريع زواج المثليين (الشواذ) والسماح بتعاطي المخدرات قانونياً.

ويعتبر الحزب الديمقراطي أحد افرازات الحركة الماسونية والتي تشكلت في أوروبا عام ١٦١٦ م ، وهذه الحركة تعتبر نفسها قائده للعالم وتدعو الى إعادة هندسة العالم على قياسها وتتخذ شعاراً لها المنقلة والزاوية وكلمة ماسونية تعني البناؤون أي إعادة بناء العالم وقيادته وتطويعه لمصالحهم . هذه الحركة علمانية لا تؤمن بدين وذات عقيدة إستعماريه (١).

ومما سبق يتبين لنا أن كلا الحزبين، يخدمان الحركة الصهيونية كل بطريقته التي يراها مناسبة، والخلاف الظاهر بينهما لا يؤثر على دعمهما لدولة الكيان الصهيوني، ومن يعول على أحد الحزبين في الوقوف مع المسلمين وقضيتهم الكبرى فلسطين، لا يفقه شيء في علم السياسة وإدارة الصراعات، ف كلا الحزبين

يرى وجود دولة إسرائيل ودعمها وتفوقها وبقائها شرطاً دينياً لعودة المسيح!. إن أمريكا (البروتستانتية) قد فاقت في دعمها لدولة الكيان الصهيوني كل دول العالم في دعمها منذ قيام دولتهم إلى اليوم، وهذا الأمر لم يعد خافياً

(١) الأصول الدينية للصهيونية، د/الحبيب الشوياني، ص ٤٤، والعولمة والماسونية، لمحمد سعيد العشاوي، ص ٥٦، باختصار وتصرف.

على أحد، وإليك شيئاً مما صرح به بعضاً من رؤساء أمريكا، في فترات مختلفة من تاريخها؛ لتزداد يقيناً بذلك:

١- الرئيس الأمريكي توماس جيفرسون (١٨٠١-١٨٠٩) م: الذي بلغ من تأثير الصهيونية المسيحية فيه حداً كبيراً اقترح فيه اتخاذ رمز لأمريكا يمثل أبناء إسرائيل تظلمهم غيمة في النهار، وعمود من نور في الليل بدلاً من شعار النسر^(١)؛ وذلك توافقاً مع ما ورد في بعض أسفارهم حيث جاء فيها: (كان الرب يسير أمامهم خلال النهار في عمود من السحاب ليهديهم الطريق، ويسير أمامهم خلال الليل في عمود من نار ليضيء لهم)^(٢).

٢- الرئيس الأمريكي ودور ويلسون (١٩١٣-١٩٢١) م، هو حاكم أمريكا أثناء الحرب العالمية الأولى، وأثناء سنوات حكمه كان يقدر اليهود، ويعطي من شأنهم: (وليس أدل على ذلك من جعله "برنارد باروخ" وهو يهودي مستشاره للشؤون الاقتصادية، وجعله اليهودي "لويس برانديس" مستشاراً قضائياً، بل جعله رئيساً للمحكمة الأمريكية العليا، وفي الوقت نفسه يرفض ويلسون المستر "تافت" رئيس الجمهورية السابق في هذا المنصب الخطير ويرشح هذا اليهودي)^(٣).

ولما زار بلفور الولايات المتحدة في ٢٠ إبريل ١٩١٧ م وعده ويلسون حينذاك بتقديم كل عون لليهود: (بل إن بلفور طلب من "برانديس" أن يكون

(١) الأصولية الإنجيلية، لمحمد السماك ص ٧١.

(٢) سفر الخروج: الإصحاح ١٣ الآية ١٢.

(٣) خطر اليهودية العالمية، لعبد الله التل، ص ٢٠١.

على اتصال دائم مع حاييم وايزمان؛ لتنسيق الخطوات في شأن إقامة إسرائيل - كل ذلك على علم من ويلسون، وبعث ويلسون رسالة رسمية لزعيم الصهيونية الأمريكية الحاخام "ستيفن وايز" مصداقاً بشكل رسمي على وعد بلفور^(١).

وأعلن لكثير من زعماء اليهود تأييده لوعده بلفور، ولم يكن هذا كله بضغط من اليهود المحيطين بالرئيس، إنه بروتستانتى "ينحدر من أبوين ينتميان للكنيسة المشيخية وقد نشأ على التعاليم البروتستانتية الأمريكية التي كانت تؤمن بالأسطورة الصهيونية"^(٢) حتى قال عن نفسه: (إنه يجب على ابن راعي الكنيسة أن يكون قادراً على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة لشعبها اليهودي)^(٣)، واعتبر ويلسون وحكومته واضعي حجر الأساس للدولة اليهودية نظراً لما قدمه في هذا السبيل، وقال في أحد تصريحاته في يونيو ١٩٢١م: (يستحيل على من يدرس خدمات الشعب اليهودي ألا يعتقد أنهم سيعادون يوماً إلى وطنهم القومي التاريخي" كما صرح بتأييده الشديد لصندوق اكتشاف فلسطين)^(٤).

٣- الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت (١٩٣٣ - ١٩٤٥)م: كان صهيونياً وقد: (اتخذت في عهده نجمة داود وسليمان شعاراً رسمياً لدوائر البريد وللخوذ التي يلبسها الجنود في الفرقة السادسة، وعلى أختام البحرية الأمريكية،

(١) أمريكا والصهيونية، لسامي حكيم، ص ١٣.

(٢) الصهيونية غير اليهودية، لجوزيف دبليو بنتوشن، ترجمة أحمد عبد العزيز، ص ١٨٨.

(٣) القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى، لسفر الحوالي، ص ٤٦.

(٤) الصهيونية غير اليهودية، لجوزيف دبليو بنتوشن، ص ١٩٤.

وعلى طبعة الدولار الجديد، وميدالية رئيس الجمهورية، وخفراء الشرطة في شيكاغو، وشارة الصدر التي يضعها العمدة في كثير من المناطق^(١).

٤- الرئيس الأمريكي هاري ترومان (١٩٤٥-١٩٥٣)م: هو الذي فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين: (وقد وصل أعداد المهاجرين في عهده إلى ١٥٠٠ يهودي شهرياً استمرت شهوراً طويلة، وتمت الموافقة الأمريكية بأمر ترومان على تقسيم فلسطين، ومنح اليهود بجهوده ٥٦% منها)^(٢).

وفي عهده قامت دولة الكيان الصهيوني، وكانت أمريكا أول دولة في العام اعترفت بها، ولا نعجب من ذلك، فترومان (كان قد درس التوراة على نفسه وكان يؤمن بالتبرير التاريخي لوطن قومي لليهود، وكان يحس بشيء عميق له مغزاه في فكرة البعث اليهودي، وكان يرد كثيرا العبارة الواردة في التوراة والتي تبدأ "لقد جلسنا على أنهار بابل وأخذنا نبكي حين تذكرنا صهيون")^(٣). ولقد اعترف ترومان أنه ما من مرة قرأ فيها قصة إنزال الوصايا العشر في سيناء إلا وشعر بوخز خفيف يسري في عروقه. ولقد صرح بأن (موسى تلقى المبدأ الأساسي لقانون هذه الأمة على جبل سيناء)^(٤).

٥-الجنرال إيزنهاور: كان عضواً مؤازراً لجمعية "بناي برث" اليهودية وصديقاً لجماعة "شهود يهوه" الإرهابية وشارك في جميع خطط جمع التبرعات لليهود،

(١) خطر اليهودية العالمية، لعبد الله التل، ص ٢٠١ .

(٢) أمريكا والصهيونية، لسامي حكيم، ص ٢٩

(٣) التوراتية، المزمارة "١٣٧".

(٤) الصهيونية غير اليهودية، لجوزيف دبليو بنتوشن، ص ٢١٣.

قال إيزنهاور: (إن إسرائيل ولدت بعد الحرب الثانية وإنها قامت لتعيش مع غيرها من الدول التي اقترنت مصالح الولايات المتحدة بقيامها^(١)).

٥- الرئيس الأمريكي جون كنيدي (١٩٦١ . ١٩٦٣) م: من تصريحاته: (إن أمريكا التزمت التزامات صريحة بحماية إسرائيل، ومن مصلحتنا نحن الأمريكيين تنفيذ ما التزمنا به، وقال أمام المنظمة الصهيونية الأمريكية: (كان ترومان أول من اعترف بإسرائيل، وسأواصل أنا السير في هذا الطريق"^(٢) ، وكان كنيدي (يؤمن بأن يهوه هو الذي يحمي الولايات المتحدة ويسهر على أمنها)^(٣)).

٦- الرئيس الأمريكي بوش الأب (١٩٨٩ . ١٩٩٣) م: عمل بكل قوة في مسار الصهيونية، وقام عملياً بما لم يقم به رئيس قبله: (فقد سهل هجرة اليهود السوفيت التي بلغت ذروتها ما بين عام ١٩٨٩م إلى ١٩٩١م وقدم المساعدات المالية لإسرائيل وقال: إن بلاده قدّمت مساعدات مالية وعسكرية بلغت ٤.٤ مليارات دولار، وبذل ١٠ مليارات دولار لتوطين اليهود السوفيت في فلسطين الذين جاؤوا إليها بضغط كبيرة من بوش)^(٤) . وحرب الخليج وما تم فيها ثم ما ترتب عليها، ما هي إلا نموذج من أعمال بوش الإجرامية، ثم مؤتمر مدريد وفرض فيه ما يسمى بالسلام العربي الإسرائيلي.

(١) التوراتية، المزمارة "١٣٧"

(٢) أمريكا والصهيونية، لسامي حكيم، ص ١٠٨ .

(٣) الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي، لعبد الوهاب الميسري، ص ٣٣ .

(٤) تاريخ النفوذ اليهودي في أمريكا، ليفصل أبو خضرا ص ٣٠ بتصرف.

إن الأدوار التي قام بها الرئيس الأمريكي بوش الأب نقلت العالم نقلة هائلة، أو نقول غيرت تغييرات هائلة في كثير من الأحداث خاصة على الصراع العربي الإسرائيلي.

٧- الرئيس الأمريكي كلينتون (١٩٩٣-٢٠٠١)م: أعلن عن اتجاهه الصهيوني ف قرب اليهود، حتى إن مجلس الأمن القومي فيه ٧ من اليهود من ١١ عضواً بالإضافة إلى مناصب أخرى حشر فيها اليهود وقربهم، وكلينتون صاحب شعار "لن نخذل إسرائيل أبداً"^(١).

٨- الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن (٢٠٠١-٢٠٠٩): أكمل مسيرة والده في دعم اليهود، واستغل أحداث سبتمبر في شن حملة واسعة النطاق على المسلمين بدعوى محاربة الإرهاب!، وعلى إثر ذلك شنت الولايات المتحدة الأمريكية حربها ظالمة على أفغانستان، ودمرت العراق، بدعوى محاربة الإرهاب والحقيقة أنها فعلت كل ذلك خدمة للكيان الصهيوني، وحماية لأمنها^(٢).

وقد اتخذ موقفاً صلباً إلى جانب إسرائيل، ورفض فكرة إقامة دولة فلسطينية مستقلة بحدود ١٩٦٧. في عام ٢٠٠٤، قال إن إسرائيل "تمثل الديمقراطية في الشرق الأوسط"^(٣).

(١) جريدة الشعب المصرية ص ٢ العدد (٩٤٤) الثلاثاء ٩ ذي الحجة ١٤١٥، ٩مايو ١٩٩٥.

(٢) حرب السيد بوش الابن، لستيفن غروبارد، ص ٤٤.

(٣) موقع الجزيرة نت.

٩- الرئيس الأمريكي باراك أوباما (٢٠٠٩-٢٠١٧): على الرغم من بعض التوترات مع إسرائيل، إلا أن أوباما أكد على العلاقات القوية بين البلدين. في عام ٢٠١١، قال إن "أمن إسرائيل يمثل أولوية بالنسبة للولايات المتحدة"^(١)

١٠- الرئيس الأمريكي جو بايدن (٢٠٢١-٢٠٢٤): أكد بايدن على أهمية العلاقات بين الولايات المتحدة وإسرائيل، وقال في عام ٢٠٢١ إن "أمن إسرائيل يمثل وعدًا أمريكيًا". كما أشار إلى أهمية حل الدولتين للصراع الإسرائيلي الفلسطيني^(٢).

١١- الرئيس الأمريكي دونالد ترامب، في ولايته الأولى (٢٠١٧-٢٠٢١): وفي ولايته الثانية (٢٠٢٤- حتى الآن) اتخذ ترامب موقفاً مؤيداً لإسرائيل، واتخذ عدة قرارات مهمة، بما في ذلك نقل السفارة الأمريكية إلى القدس في عام ٢٠١٧، واعتراف الولايات المتحدة بالسيادة الإسرائيلية على مرتفعات الجولان في عام ٢٠١٩.

ودعمه لدولة الكيان الصهيوني في حرب الإبادة التي تشنها على غزة لا تخفي على أحد^(٣).

ومما سبق يتضح لنا أنه لا يأتي رئيس أمريكا إلا ويعبر عن صهيونيته الإنجيلية بمناصرة لليهود والعمل على حماية أمن إسرائيل، وما ذلك إلا تأكيداً على إيمانهم بنبوءات العهد القديم وما فيه من وعود يهودية.

(١) موقع الجزيرة نت.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

ولم يقتصر هذا الاتجاه الديني الصهيوني على رؤساء أمريكا، بل هو اتجاهاً عاماً يؤمن به رجال السياسة الأمريكيون.

ثانياً: خطر الصهيونية على أمريكا

رغم هذا التبني لدولة الكيان الصهيوني، من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن الصهيونية تشكل خطراً على أمريكا نفسها، ولعل أكبر دليل على هذا الخطر، فضائح "ابستين" والتي بدأت بعض ملفاتنا تظهر إلى العلن في بداية عام ٢٠٢٦م، وهذه الملفات تُظهر خبث اليهود في الإيقاع بفرائسهم، من مختلف الشرائح الاجتماعية في العالم، وخاصة القادة والزعماء في الولايات المتحدة، واليهود يستخدمون هذه الملفات لابتزاز القادة هنا ودفعتهم لتحقيق أهداف الصهيونية العالمية، التي يعجز الصهاينة عن تحقيقها منفردين، ولعل تداعيات هذه الملفات قد تتيح بالكثير من القادة في أمريكا، وتظهر لهم مدى توغل الصهاينة في أمريكا، ومقدار الخطر الذي يشكله على حاضر ومستقبل الولايات المتحدة الأمريكية، ولعل الفهم لهذا الخطر يجعلهم يراجعون سياستهم تجاه دولة الكيان الصهيوني، والذي تستمد قوتها من الدعم اللامحدود الذي تقدمه الولايات المتحدة الأمريكية وقادتها.

إن الصهاينة لا يخفون نواياهم في أنهم يريدون القضاء على كل الأديان التي تقف أمام أهدافهم فتحول دون طموحاتهم، وقد صرح الصهاينة بأنهم سيستخدمون مخترعات الحضارة الغربية في القضاء على تلك الحضارة، فقد وقف الحاخام "عمانوئيل رابينوفتش" بتاريخ ١٢ يناير ١٩٥٢م ليلقى خطاباً خطيراً في مجلس الحاخامين المنعقد في "بودابست"، يعتبر امتداداً لمحاضر

جلسات حكماء صهيون التلمودية، وكان مما قاله: (لن يبقى دين فوق الأرض غير ديننا، إن بقاء الأديان سيكون خطرا دائما لكيان حكمنا، نحن الروحانيين، سنفني الأديان ونظل محتفظين بديننا متمسكين بشعار قومنا الخالد وهو الشريعة العبرانية الموروثة ومعتقداتها التي لا تتبدل ولا تمس، وسوف نتشدد في قوانين الزواج لنحول دون زواج اليهودي واليهودية من غير اليهود، ولا بد من أن نقوم بإعدام عدد من كبار الرجال الذين خدمونا في روسيا وأمريكا على السواء، بموجب وثائق تدينهم، وقد نضطر للتضحية بعدد من إخواننا اليهود كما فعلنا مع "هتلر" ، ولا بأس من تضحية بالجزء لينتصر الكل، ونسود العالم بثمن زهيد جدا.

وأصرح لكم أننا قد نستعمل مخترعات الرجل الأبيض سلاحا ضد أنفسهم، ونستخدم أجهزة الدعاية لتعكس رغبتنا، ومصانعهم لتهدى الآلات التدميرية التي يهلكون بها أنفسهم، ارجعوا إلى بلادكم بنشوة تصوركم يوم النصر الختامي، وعاضدوا أتركم الطيب " إسرائيل " انتظارا لليوم الذي تظهر فيه عظمتها وتسطع نورا يضيء العالم)^(١).

وهذا الخطر الصهيوني على أمريكا قد تنبه إليه بعض القادة في أمريكا، قال " بنجامين فرانكلين: (هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود، ففي كل أرض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوي الخلقى وأفسدوا الذمة التجارية فيها، ولم يزلوا منعزلين لا

(١) الأفعى اليهودية في معازل الإسلام، لعبد الله النل، ص ٤٤ . ، والخطر المحيط بالإسلام، لجواد رفعت اتيلخان، ص ٢٧٣.

يندمجون بغيرهم، وقد أدي بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب ماليا كما هو الحال في البرتغال وأسبانيا، منذ أكثر من ١٧٠٠ سنة، واليهود يندبون حظهم العاثر ويعنون بذلك أنهم قد طردوا من ديار آبائهم، ولكنهم أيها السادة لن يلبثوا إذا أعطتهم الدول المتحضرة اليوم فلسطين أن يجدوا أسبابا تحملهم على ألا يعودوا إليها، لماذا؟ لأنهم طفيليات، لا يعيش بعضهم على بعض، ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم، إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص دستورها، فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة، إلى حد يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحايانا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرماننا الفردية، ولن تمضي مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لإطعام اليهود، على حين يظل اليهود في البيوتات المالية، يفركون أيديهم مغتبطين .

إنني أحذركم أيها السادة، إنكم إن لم تبتعدوا اليهود نهائيا فسوف يلغىكم أبناءكم وأحفادكم إلى قبوركم، إن اليهود لن يتخذوا مثلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال، فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الارقط، إن اليهود خطر على هذه البلاد، إذا ما سمح لهم بحرية الدخول، إنهم سيقضون على مؤسساتنا، وعلى ذلك لابد من أن يستبعدوا بنص الدستور " (١) .

وهذا " وليم أجنيز " يقول: (الولايات المتحدة لها رئيسان، كما أن لها حكومتان: إحدهما حكومة صورية، تضم الرئيس ونائبه والكونجرس، والثانية

(١) حكومة العالم الخفية، لشريب سيريد وفيتش ص ٢٩ .

حكومة حقيقية، مستترة خلف الحكومة السورية، وهذه الحكومة لها وكلاؤها وأعضاؤها في البيت الأبيض والكونجرس، والمحكمة العليا، والمكتب التنفيذي، وفي جميع إدارات الحكومة، ومرافق الدولة، وأكثر من ذلك فإن هذه الحكومة الخفية أقامت رقابة علي: الصحف، والراديو، والتلفزيون، والسينما، والمسرح، والمدارس، والمعاهد، والجامعات، والمؤسسات التعليمية والثقافية المختلفة، بما في ذلك الكنائس، واللجنة اليهودية الأمريكية ليست إلا واحدة من عدة جمعيات، تخطط السياسة الرسمية للولايات المتحدة الأمريكية، وتراقب كل ما يقال أو يكتب أو ينشر^(١)، كما تراقب الكنائس، وتحضر الدروس الدينية للمدارس كل يوم أحد، إن هذه اللجنة تشرف علي إفطار الرئيس، وتشرف علي ملابس أعضاء الكونجرس، وتختار الموسيقي لأعضاء المحكمة العليا والمكتب التنفيذي^(٢).

وقد ذكر شريب سبريد وفيتش في كتابه حكومة العالم الخفية كثيرا من اقوال بعض الكتاب العقلاء الذين يحذرون أمريكا من خطر اليهود، وسنذكر هنا أهم أقوال بعض المفكرين، قال مازيني: (إننا نرغب في قهر كل خطر، بيد

(١) وهذا الكلام أثبته الواقع بعد أحداث غزة، حيث قامت كثير من الشركات التابعة للصهاينة (كيوتوب)، ومقرها في أمريكا ويملكها اليهود الصهاينة، قامت هذه الشركة بإغلاق معظم القنوات التي تتضامن مع غزة وتتبنى قضيتهم، وعلى المستوى الشخصي تم حذف قناتي والتي كانت تضم ارشيفا من المحاضرات والدروس والخطب، والتي القيتها خلال أكثر من ثمان سنوات، وفي ضغطت زر حذفوا كل متحواها؛ لأنني نشرت فيها بعض الخطب التي فيها تضامن مع غزة، وهذا التصرف يتنافى مع حرية التعبير الذي تدعيه أمريكا، لكن سيطرة اللوبي الصهيوني على سياساتها الإعلامية وغيرها، يتجاوز كل دعاوى الحرية وحق التعبير.

(٢) القوى الخفية، لليهودية العالمية، لسنقرط ص ١٦٧.

أن هناك خطرا غير مرئي له وطأته علينا جميعا، من أين يأتي؟ وأين هو؟ لا أحد يعلم، أو علي الأقل لا أحد يفصح عنه، إنها مجموعة سرية منظمة تخفي حتى علينا، نحن العريقين في أعمال الجمعيات السرية، ولما اكتشف الرئيس الأمريكي "ابراهيم لينكولن" مؤامرات اليهود وخططهم في أمريكا، قرر اليهود اغتياله، وكانت وفاة "لينكولن" كارثة على العالم المسيحي؛ لأنه كان بطل الولايات المتحدة وقديسها القوي، ولم يكن في الولايات المتحدة من يحل محله.

وقد قامت الحرب الأهلية في أمريكا بتدبير من اليهود ومؤامراتهم، لقد اتهم اللورد اکتون "اليد الخفية" بقوله: "إنهم ضحوا بالحرية ولم يحققوا المساواة، استبدلوا حكم الملك بحكم الجمعية المطلق، ولكن الجمعية نفسها رهن إشارة الإمبراطور اليهودي السري، ولم يكن الهجوم على الكنيسة خطأ فاضحا لا حاجة له، وإنما كان هدفا أساسيا لكل ثورة، فالثورة إحدى وسائل اليهود لتحطيم العالم المسيحي، ويجب على الأمة الأمريكية ألا تنس هذا، إذا أرادت عن صدق أن تمنع حربا أهلية جديدة وحربا عالمية أخرى تكونان أكثر مصيبة وأعظم خطرا عليها.

وإن اليد الخفية التي أضرمت النيران في فرنسا تفعل الآن الشيء ذاته في الولايات المتحدة متبعة الطريقة ذاتها بتهجير اليهود إليها، لقد دفع "أمشيل" بالآلاف إلى باريس مثل ما يدفع البلاشفة اليهود يوميا إلى الولايات المتحدة الآن، تحت ستار أنهم فرنسيون أو بروسيون أو بولنديون أو إيرلنديون، ويشجعهم الرعاع الأغبياء الجشعون الذين لا يفهمون، وليس عندهم ما

يفقدون، وعندما تغرق الولايات المتحدة في الدماء ساعتها ربما ظهر " روبسبير " أمريكي، فيكتشف أن كل الثورات من صنع اليهود .
وبعد كل هذه البراهين أعتقد أنني كشفت النقاب عن هذا العبقرى والممول، إنه " أمشيل روتشيلد " الذي استخدم ثروة " هيسى - كاسيل " الضخمة لتدمير العالم المسيحي، تماما كما يفعل البلاشفة اليهود، باستعمال كل مال يجدونه في تحطيم روسيا، ثم تفجير أمريكا والعالم المسيحي كله، فحتى اليهودي " غومبيرز " يؤكد أن أصحاب البنوك اليهود يساعدون " البلشفية " بملايين الدولارات (١).

ومما يدل على أن اليهود يشكلون خطرا على أمريكا، أن اليهود افتعلوا أحداث ١١ سبتمبر في عام ٢٠١١م، ووقع الاتهام على فصيل اسلامي معين، وتبناه بعض السذج منهم، وعلى اثر هذا الحدث قال الرئيس الأمريكي جورج دبيلوا بوش: (إن الحرب الصليبية على الإرهاب (الإسلام) ستأخذ بعض الوقت) (٢)، وبعد ذلك احتلت أمريكا أفغانستان لأكثر من عشرين عاما، بحجة محاربة الإرهاب، وضيق الخناق على الأعمال الخيرية والأعمال الدعوية الإسلامية في كثير من بلدان العالم، بحجة محاربة التطرف والإرهاب، وكل هذه التحركات الأمريكية كان يقف خلفها اليهود، وبهذا تكون أمريكا قد عادت الاسلام المسلمين والذين يشكلون حوالي ربع سكان العالم، والذين قد

(١) حكومة العالم الخفية، لشريب سبريد وفيتش صد٤٢، صد٨٢، صد٨٧، صد٩٠، وصد١٨١، باختصار وتصرف، وينظر: مكايده يهودية، صد٣٧٣.

(٢) حملة صليبية عاشره، على شبكة ويكيبيديا.

تحتاجهم للتحالف معها في حروبها المستقبلية مع أعدائها الأصليين من والذين يمثلهم المحور الشرقي، المتمثل في روسيا والصين وكوريا الشمالية وحلفائهم.

ومما يدل على ذلك أن اليهود يورطون امريكا في حروب لا ناقة لها فيها ولا جمل، ومن ذلك حرب غزة التي شنها اليهود على ذلك القطاع لمدة عامين كاملين، وكانت أمريكا هي الداعم الرئيسي للصهاينة بالمال والسلاح، طوال فترة هذه الحرب، وهناك تقارير تقول: بأن قوات أمريكية متخصصة شاركت في الحرب على قطاع غزة.

وآخر هذه الورطات التي أوقع فيها الصهاينة الأمريكان في حروبهم العبيثية، الحرب التي شنها الصهاينة على دولة ايران الاسلامية، وقد بدأت هذه الحرب بحرب خاطفة استمرت لمدة اثني عشر يوما في ١٣ يونيو من عام ٢٠٢٥، ثم توقفت الحرب بعد ذلك، وكانت آثارها محدودة على كلا الدولتين.

ثم استأنف الصهاينة هذه الحرب في ٢٨ فبراير من عام ٢٠٢٦م وهي مستمرة حتى لحظة كتابة هذه الأسطر في تاريخ ٣٠ مارس ٢٠٢٦م، وقد مضى عليها أكثر من شهر، وهذا الحرب دفع الصهاينة الأمريكان للانغماس فيها بشكل مباشر، وجلبت أمريكا معظم قواتها إلى الشرق الأوسط، بغية القضاء على كل القوى الفاعلة التي قد تقف أمام المشروع الصهيوني، المتمثل في اقامة دولة بني صهيون الكبرى، والتي حدودها من النيل إلى الفرات.

وهذه الحرب قد تنتج عنها كوارث تشمل دول المنطقة العربية والإقليم المجاور لها، إن لم يوقف العقلاء هذه الحرب التي تلبى طموحات دولة بني صهيون، كما صرح بذلك أحد زعماء العالم الإسلامي.

وقد بدأت نذر هذه الحرب تظهر على شكل أزمة طاقة ستضرب معظم دول العالم، بسبب اغلاق مضيق هرمز، والذي تمر عبره أكثر من ثلث الطاقة العالمية.

كل هذه الحقائق تبين أن العقلاء في أمريكا يدركون خطر الصهاينة على أمريكا التي تدعمهم وتتبنى قضاياهم في كل المحافل الدولية على كل المستويات الاقتصادية والسياسة والعسكرية، لكن معظم زعماء أمريكا قد أصابتهم سكرة التبعية للصهاينة، ولعلمهم لن يفيقوا إلا وسكاكين الصهاينة على رقابهم، تصادر قوتهم وتحتل بلادهم علنا وبلا موارد، فسبحان من بيده الأمر، وهو يمهل ولا يهمل، وصدق الله القائل: **{ وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون }** (١).

هذه هي أهم مراحل تطور ونمو الفكر الصهيوني على مدار أكثر الفي عام من الزمان، قدمناها، بصورة مختصرة، مع ذكر أهم خصائص كل مرحلة والتي أدت إلى ظهور الصهيونية المعاصرة، وهو ما سنتحدث عنه في المبحث الثالث، والذي سنتناوله في الصفحات الآتية.

(١) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

المبحث الثالث:

خطر الصهيونية العالمية

إن التحالف بين المتطرفين اليهود، والجناح البروتستانتى فى النصرانية، أنتج ما يسمى بالصهيونية العالمية، ومن باب الإنصاف فإنه لا بد من بيان أنه ليس كل اليهود يؤيدون قيام دولة للكيان الصهيونى فى فلسطين، وهناك تيار لا بأس به يعارض فكرة قيام دولة للصهيونية المعاصرة فى فلسطين، ويرون ذلك مقدمة لنهاية اليهود وزوالهم.

كما أن هناك تيارات كثيرة فى الديانة المسيحية يرفضون تحالف التيار البروتستانتى مع المتطرفين من اليهود، ويرون فى هذا التحالف خطر على مستقبل الديانة المسيحية، وعلاقتها بالأمم الأخرى، وفى هذه الأيام تشهد الولايات المتحدة مظاهرات حاشدة ترفض تبعية أمريكا لدولة الكيان الصهيونى فى الحروب التى تشنها فى وقتنا الحاضر، ويرون أن تلك الحروب تخص دولة الكيان الصهيونى، وأن أمريكا ينبغى لها ألا تكون تابعة لدولة الكيان الصهيونى، التى لها طموحاتها ينبغى لها أن تحققها بنفسها، وأن أمريكا ينبغى لها أن تهتم بشؤونها الداخلية، وأن تصلح علاقاتها مع دول العالم، بدون تأثير برغبات دولة الكيان الصهيونى.

وهذا المبحث سوف نتناول الحديث عنه فى النقاط التالية:

أولاً: تعريف الصهيونية

وردت عدة تعريفات للصهيونية، ومن تعريفاتها أنها: (حركة سياسية، تهدف إلى جمع اليهود ولم شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين؛ لتأسيس دولة يهودية

فيها، تدين بالدين اليهودي وتتميز بالعنصر اليهودي وبالثقافة اليهودية، وبإرادة بعث مملكة داود، نشأت في أواسط القرن التاسع عشر على يد والدها وزعيمها الأول " تيودور هرتزل.

أما الصهيونية كحركة دينية فكرية، أو تمدنية شاملة، تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من أداء رسالته، وتتفهم هذه الرسالة كتملك لأرض الميعاد، وقهر لجيرانها الأعداء، وتركيز لسلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية في صهيون" (١).

وجاء في الموسوعة الميسرة: (إن الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله، واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث ابنتى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها" (٢).

ومن تعريفات الصهيونية: (إنها حركة يهودية سياسية اشتق اسمها من صهيون، وهو جبل في جنوب القدس - جاء ذكره في مواضع متعددة من التوراة - وتهدف هذه الحركة الصهيونية إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة دولة صهيونية في فلسطين العربية) (٣).

(١) أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د. إسماعيل راجي الفاروقي، ص ٧٠.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، لمانع الجهني، ١/١١١.

(٣) الصهيونية العالمية، نشأتها وطبيعتها، لأحمد رياض، ص ٧٣.

ومنها أن الصهيونية: (مذهب سياسي يستهدف سيادة اليهود على كل الأجناس وسيادة الدين اليهودي على كل الأديان)^(١).

و جاء في قاموس الكتاب المقدس: (صهيون: رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم، ورد ذكرها للمرة الأولى في العهد القديم كموقع لحصن ييوسي، فاحتل داود الحصن وسماه مدينة داود، وإليها أتى بالتابوت فمُنذئذ صارت الرابية مقدسة."^(٢).

وقال ياقوت الحموي: (صهيون: موضع معروف بالبيت المقدس محلة فيها كنيسة صهيون، وصهيون أيضاً حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص)^(٣).

وقد جاء ذكر جبل صهيون في بعض الآثار الاسلامية، قال وهب بن منبه قال: (لما اشتملت مريم على الحمل كان معها قريب لها يقال له يوسف النجار، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون، وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم، فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان، وكان لخدمته فضل عظيم، فرغبا في ذلك فكانا يلبان معالجته بأنفسهما، تحبيره وكناسته وطهوره وكل عمل يعمل فيه، وكان لا يعمل من أهل زمانها أحد أشد اجتهاداً وعبادة منهما.^(٤).

(١) الصهيونية العالمية، لعلي جريشة، ص ٢.

(٢) قاموس الكتاب المقدس، ص ٥٥٨.

(٣) معجم البلدان، لياقوت الحموي ٣ / ٤٣٦.

(٤) تفسير الطبري (١٦ / ٦٤) باختصار.

وقيل إن: (للصهيونية جذور تاريخية، وسياسية منذ قيام حركة المكابيين^(١) التي أعقبت السبي البابلي، ومرت بعد ذلك بمراحل كثيرة منذ تلك القرون، وذلك قبل ظهور المسيحية، وقبل ظهور الإسلام وبعده، وكانت مهمتها في مراحلها الأولى تحريض اليهود على العودة إلى أرض فلسطين، وبناء هيكل سليمان، وتأسيس دولة إسرائيل الكبرى)^(٢).

إن الصهيونية هي لب الروح اليهودية الأصلية (فهي التي حافظت على عبرية العبريين في مصر، ومنعتهم من الانصهار في جسم الأمة المصرية، ولولاها لما كان هناك اضطهاد للعبريين من قبل المصريين، ولا كان خروجهم هرباً من ذلك الاضطهاد^(٣)).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الصهيونية ليست إلا الصيغة الحديثة والعصرية للمطامع اليهودية في إقامة دولة إسرائيل: (مستخدمة كل الوسائل والأساليب سواء منها الدينية والأسطورية أو العلمية والعصرية لتحقيق هدف التوسع والسيطرة والإدالة من الإسلام وأهله، ولقد يبدو واضحاً في الحديث عن إطلاق اسم "خيبر" على معركة ١٩٦٧م، وغيرها من الأحداث والمحادثات ما يدل

(١) لفظ: مكابي أو مقابي: معناه المعين من قبل الرب يهوه، وهو لقب يهوذا ابن الكاهن ميتارس، ثم صار هذا اللقب علماً على الثورة التي قامت في حدود سنة ١٦٦ قبل الميلاد عندما دمر الهيكل الملك السلجوقي أنطوخوس، ثم ثار عليه الكاهن ميتاس وأولاده. انظر المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، د. محمد البار صد ١٠٥.

(٢) رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ٦٢ .

(٣) أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د. إسماعيل راجي الفاروقي، ص ٧ .

على هذا المعنى الذي يرتكز في غزو ثقافي، لإحلال مفاهيم يهودية تلمودية محل المفاهيم القرآنية الإسلامية (١).

ومما سبق يتبين لنا أن الصهيوني هو اليهودي الذي يؤثر أن يعيش في فلسطين، وهو كذلك من يساعد اليهود ماديا أو أدبيا ليستوطنوا فلسطين.

ثانياً: الأسس الفكرية للحركة الصهيونية

تقوم الحركة الصهيونية على جملة من الأسس الفكرية الخاطئة، والمعتقدات الزائفة، ومن أبرز أفكار الصهيونية ما يلي:

١- يعتقد الصهاينة أن اليهود هم شعب الله المختار، وهذه هي الفكرة الأساسية التي يقوم على أساسها التعصب الديني للصهيونية، (فهم يستندون إلى نصوص من التوراة تؤكد بأنهم شعب الله المختار، ويفسرون هذا الاختيار الإلهي بأنه تفضيل للأقوى والأصلح، وبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم يبقون وحدهم في آخر الزمان متسلطين على رقاب العالم ويرون أنفسهم بأنهم الذين سيلعبون دور البطولة على هذا المسرح الهائل - مسرح التاريخ-والأمم الأخرى ليست إلا أشخاصا ثانوية خلقهم الله لتكملة مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها، على نحو تظل فيه البطولة لإسرائيل) (٢).

وفكرة اليهود بأنهم شعب الله المختار نسجوها من وحي الخيال، ودعموا هذه الفكرة إلى بعض الأقوال الضالة في توراتهم المحرفة، إلى حد قولهم: (إن الرب قد اتخذ أمتهم عشيقة له، بل إنه تزوجها زواجا أبديا، حتى إنها إذا

(١) المخططات التلمودية، لأنور الجندي ص ١٠٩، بتصرف.

(٢) الشخصية الإسرائيلية، د/ حسن ظاظا، ص ٣٦، بتصرف.

خانتة ودنست شرف العلاقة القائمة بينها وبينه لم يطلقها كما يفعل أحقر مخلوق من البشر، ولكنه يكتفي بأن يغضب ثم يرضى، وأن يعاقب ثم يصفح، فهي الأم الحبيبة المعشوقة المدللة، التي تعلم مقدما أن الرب لن يجرؤ يوما ما على قتلها مهما أجمت) ^(١)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وقد رد الله تعالى على اليهود زعمهم أنهم شعب الله المختار في آيات كثيرة، ومن ذلك: **{وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء}** ^(٢)، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: (أثبتت اليهود لأنفسها ما أثبتته لعزير، حيث قالوا **{عزير ابن الله}** ^(٣) وأثبتت النصارى لأنفسها ما أثبتته للمسيح حيث قالوا **{المسيح ابن الله}** ^(٤)، وهكذا أثبتوا لأنفسهم أنهم أحباء الله بمجرد الدعوى الباطلة والأمانى العاطلة، فأمر الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يردّ عليهم، فقال: **{ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ }** أي: إن كنتم كما تزعمون، فما باله يعذبكم بما تقترفونه من الذنوب بالقتل، والمسح، وبالنار في يوم القيامة كما تعترفون بذلك، لقولكم: **{ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً }** ^(٥)، فإن الابن من جنس أبيه لا يصدر عنه ما يستحيل على الأب وأنتم تذنوبون، والحبيب لا يعذب حبيبه وأنتم تعذبون، فهذا يدلّ على أنكم

(١) الاتجاهات التعصبية، لمعز سيد عبد الله، بتصريف. ص ٢٤٣

(٢) سورة المائدة : ٨ .

(٣) التوبة : ٣٠ .

(٤) التوبة : ٣٠ .

(٥) التوبة : ٨ .

كاذبون في هذه الدعوى . وهذا البرهان هو المسمى عند الجدليين ببرهان الخلف .

ومعنى قوله تعالى: **{ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ }** عطف على مقدر يدلّ عليه الكلام: أي فليستم حينئذ كذلك، **{ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ }** أي: من جنس من خلقه الله تعالى يحاسبهم على الخير والشرّ، ويجازي كل عامل بعمله **{ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا }** من الموجودات **{ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ }** أي : تصيرون إليه عند انتقالكم من دار الدنيا إلى دار الآخرة^(١).

ومما زعمه اليهود والنصارى قولهم: إنه لن يدخل الجنة إلا من كان منهم، وقد ذكر الله تعالى زعمهم هذا ورد عليه في قوله تعالى: **{ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}**^(٢)، قال الامام ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: (يبين تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها، وقد ردّ الله عليهم بقوله **{ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ }**، قال أبو العالية: أمانى تمنوها على الله بغير حق، ثم قال: **{ قُلْ }** أي: يا محمد، **{ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ }** قال قتادة: أي هانوا: بينتكم على ذلك **{ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }** كما تدعون.

(١) تفسير الشوكاني (فتح القدير) ٢ / ٢٨٦، باختصار.

(٢) سورة البقرة : ١١١، ١١٢ .

ثم قال تعالى: **{ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ }** أي: من أخلص العمل لله وحده لا شريك له، **{ وَهُوَ مُخْسِنٌ }** أي: متبع فيه الرسول صلى الله عليه وسلم. فإن للعمل المتقبل شرطين، أحدهما: أن يكون خالصًا لله وحده والآخر: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، فمتى كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يتقبل؛ ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**^(١). فعمل الرهبان ومن شابههم - وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله - فإنه لا يتقبل منهم، حتى يكون ذلك متابعًا للرسول محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، وفيهم وأمثالهم، قال الله تعالى: **{ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }**^(٢)، وروي عن سعيد بن جبير أنه تأولها في الرهبان^(٣)، ورجح ابن كثير أن الآية عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية، يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول وهو غير ذلك^(٤).

وأما إن كان العمل موافقًا للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضًا مردود على فاعله، وهذا حال المنافقين والمرائين، كما قال تعالى: **{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا }** [النساء:

(١) صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، برقم (٣٢٤٣) من حديث أم المؤمنين عائشة، رضي الله عنها.

(٢) الفرقان: ٢٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٣/١٦.

(٤) تفسير ابن كثير، ٦/١٠٤. ١٣/١٦.

[١٤٢]، ولهذا قال تعالى: **{ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا }**^(١). وقال في هذه الآية الكريمة: **{ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ }**.

ومعنى قوله تعالى: **{ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }** ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور، وآمنهم مما يخافونه من المحذور ف **{ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ }** فيما يستقبلونه، **{ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }** على ما مضى مما يتركونه، كما قال سعيد بن جبیر: ف **{ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ }** يعني: في الآخرة **{ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ }**^(٢).

٢ - يعتقد الصهاينة بحتمية صراع اليهود مع أعدائهم: (وهذا الصراع حتما لا بد من أن ينتهي بفناء من يقف أمام الصهيونية، وخاصة أعدائهم من العرب والمسلمين، بل يمكن أن يؤدي إلى فناء العالم، فإسرائيل هي التي ينبغي أن تستمر، وما عداها لا بد أن ينتهي؛ ولذلك فإن اليهود يعيشون في ترقب وحذر يجعلان من الضروري دخولهم في صراع شامل مع أعداء السامية في كل النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والعسكرية)^(٣). إن عقيدة المسلمين أن ما سيحدث هو العكس بإذن الله، حيث إن نهاية اليهود في آخر الزمان ستكون على أيدي عباد الله المؤمنين، وما تجمعهم

(١) الكهف: ١١٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٣٨٤، باختصار .

(٣) المخططات التلمودية للصهيونية، لأنور الجندي ، ص٢٢٢، والاتجاهات التعصبية، لمعز سيد عبد الله ٢٤٥ .

في أرض فلسطين إلا المقدمة لذلك، قال تعالى: **{وَقُلْنَا مَنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}**^(١)، والمتأمل في هذه الآية يجد أن كثير من أهل التفسير المتقدمين يرون أن وعد الآخرة الوارد في الآية المراد به يوم القيامة^(٢)، قال ابن الجوزي في تفسيره لهذه الآية: معنى قوله تعالى: **{وقلنا من بعده}** أي: من بعد هلاك فرعون **{لبني إسرائيل اسكنوا الأرض}** وفيها ثلاثة أقوال أحدها: فلسطين والأردن، قاله ابن عباس، والثاني: أرض وراء الصين، قاله مقاتل. والثالث: أرض مصر والشام، ومعنى قوله تعالى: **{فإذا جاء وعد الآخرة}** يعني: القيامة **{جننا بكم لفيفا}** أي: جميعا، قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن قتيبة، وقال الفراء: لفيفا، أي: من هاهنا ومن هاهنا. وقال الزجاج: اللفيف: الجماعات من قبائل شتى^(٣).

وللشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى تفسيراً أكثر وضوحاً لهذه الآية؛ لأنه عاصر قيام دولة الكيان الصهيوني في أرض فلسطين، فجاء تفسيره لهذه الآية أكثر واقعية، وهو يرى أن المراد بوعد الآخرة الإفساد الأخيرة لليهود والتي ستكون بعد تجمعهم في أرض فلسطين، وسيعقب إفسادتهم هذه نهايتهم؛ ولعل ما يفعلونه في أرض فلسطين عامة، وفي قطاع غزة خاصة، خير دليل على ذلك، وقد شنوا على قطاع غزة حرب إبادة لمدة عامين، أفسدوا

(١) الإسراء: ١٠٤ .

(٢) تفسير الطبري (١٧ / ٥٧٢)، وتفسير الزمخشري ٣ / ٤٨٨، وتفسير القرطبي ١٠ / ٣٣٨، وتفسير

الرازي ١٠ / ١٤٦، وتفسير الشوكاني ٤ / ٣٦٠ .

(٣) تفسير ابن الجوزي ٤ / ١٩٨ .

فيها إفسادا لا يوصف، فقد قتلوا من أهل غزة أكثر من سبعين ألف، وشردوا أكثر من مليوني إنسان، فأصبحوا بلا سكن ولا مأوى، وحولوا قطاع غزة إلى كومة من الأنقاض، والتي تحتاج إلى عشرات السنين إلى رفعها، ومثل ذلك من السنوات لإعادة إعمار قطاع غزة، وهذا العمل قمة الإفساد الذي شاهده البشرية بعد في عصرنا، ولعله يكون الإفساد الأخير لليهود، قبل زوالهم وهلاكهم، بإذن الله تعالى، قال الشيخ الشعراوي رحمه الله: (معنى قوله تعالى: **وَقُلْنَا مَنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ** { أي: من بعد موسى **{ اسكنوا الأرض}**، وكلمة **{ الأرض }** هنا جاءت مجردة عن الوصف **{ اسكنوا الأرض }**، لينسجم مع آيات القرآن التي حكمت عليهم بالتفرق في جميع أنحاء الأرض، فلا يكون لهم وطن يتجمعون فيه ، كما قال تعالى: **{ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا }** ^(١).

والواقع يؤيد هذا، حيث نراهم متفرقين في شتى البلاد ، إلا أنهم ينحازون إلى أماكن محددة لهم يتجمعون فيها ، ولا يذوبون في الشعوب الأخرى، فتجد كل قطعة منهم كأنها أمة مستقلة بذاتها لا تختلط بغيرها .

ومعنى قوله تعالى: **{ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا }** ^(٢)، والمراد بوعد الآخرة : هو الإفساد الثاني لبني إسرائيل؛ حيث قال تعالى عن إفسادهم الأول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : **{ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا**

(١) الأعراف : ١٦٨ .

(٢) الإسراء : ١٠٤ .

مَفْعُولًا^(١) فقد جاس رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال ديارهم في المدينة ، وفي بني قريظة وبني قَيْنُقَاع ، وبني النضير ، وأجلاهم إلى أَدْرَعَات بالشام ، ثم انقطعت الصلة بين المسلمين واليهود فترة من الزمن^(٢س).

ثم يقول تعالى عن الإفسادة الثانية لبني إسرائيل : **{ فَأِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا**^(٣) وهذه الإفسادة هي ما نحن بصدده الآن^(٤)، حيث سيتجمع اليهود في وطن واحد ليتحقق وَعْدُ الله بالقضاء عليهم، وهل يستطيع المسلمون أن ينقضوا على اليهود وهم في شتيت الأرض؟ لا بُدَّ أن الحق سبحانه أوحى إليهم بفكرة التجمُّع في وطن قومي لهم كما يقولون ، حتى إذا أراد أخذهم لم يُفَلتوا ، ويأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

وهذا هو المراد من قوله تعالى: **{ جِنًا بِكُمْ لَفِيًا** أي: مجتمعين بعضكم إلى بعض من شتَى البلاد ، وهو ما يحدث الآن على أرض فلسطين^(٥).

(١) الإسراء : ٤-٥ .

(٢) يرى الشيخ الشعراوي، رحمه الله، أن الإفسادة الأولى لبني إسرائيل كانت في المدينة النبوية في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، وأن العباد الذين سلطهم الله عليهم هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، حيث أخرجهم منها، وهناك قول آخر يرى أصحابه أن افسادة اليهود الأولى كانت في الزمان الماضي، في عهد بختصر الحاكم بابل، حيث زحف على دولة التي تمردت عليه، قدمها ودمر معبد أورشليم وساق شعبها مسبياً إلى بابل، وهذا ما يسمّى بالسبي البابلي، وذلك في حدود عام ٥٨٦ ق. م، والمسألة فيها خلاف طويل، ليس المجال هنا لمناقشتها، ينظر: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص ١٧٨، سفر الملوك الثاني الإصحاح ٢٤، والكامل في التاريخ، لابن الأثير ١ / ٨٦، باختصار.

(٣) الإسراء : ٧ .

(٤) . لعلها تكون هي، والعلم عند الله.

(٥) تفسير الشعراوي ص ٥٣٣٤، باختصار.

ولن تقوم الساعة حتى يتحقق وعد الله تعالى بنهاية اليهود، وومما يدل على ذلك، ما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود)^(١).

٣- يصنف الصهاينة البشر إلى فئتين: "ساميين وغير ساميين" ويقوم الصهاينة بهذا التصنيف استنادا إلى مجموعة من القوالب النمطية التي استمدوها من فكرهم عبر تاريخهم الطويل، وعملية التصنيف هذه تعد من الملامح الأساسية للتعصب الصهيوني؛ حيث تتم التفرقة بين الناس على أساس بعض السمات أو الخصال التي غالبا ما لا تكون صحيحة: (فاليهود الساميون يتسمون بمجموعة من الخصال أو الصفات التي تميزهم عن سائر البشر الآخرين، وهي غالبا ما تكون خصالا إيجابية، بينما يتسم غير الساميين بالعديد من السمات السلبية الكريهة التي تصل إلى مستوى الشتائم التي تجعل اليهود في مستوى يعلو فوق مستوى البشر، فيرفعون -أي اليهود- أنفسهم إلى مستوى التقديس والعبادة، ويتخذون موقفا عدائيا من جميع الشعوب التي يدعون أنها دون الشعب اليهودي من النواحي الخلقية

(١) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، برقم (٥٢٠٣).

والعقلية والفكرية، لذلك يمثل غير الساميين أعداء حقيقيين لليهود، وينبغي مواجهتهم بحسم وقوة من أجل حياة أفضل لليهود^(١).

ويحلل عبد الوهاب المسيري نفسية الصهاينة في هذا الجانب، فيقول: (إن اليهود يرون أنفسهم شعبا مميز عن بقية الشعوب منفصل عن الجنس البشري، لا يخضع للقيم الأخلاقية التي تخضع لها سائر الشعوب؛ ولذلك فإنه قادر على ارتكاب الجرائم باسم القيم والأخلاق والأهداف التي يقرها هو حسب هواه، وفي مقابل هذا التفرق العنصري والعرفي الحضاري لليهود، طرح الصهاينة فكرة التخلف العربي، العرقي والحضاري أيضا، " فهرتزل " حينما تحدث عن تفوق الحضارة الغربية متمثلة في المستعمر الصهيوني، فإنه تحدث أيضا عن فلسطين، باعتبارها، هذا الركن الموبوء البالي من الشرق، وقد عبر عن رغبته في أن تكون الدولة الصهيونية بمثابة الحائط المنيع الذي يقف ضد " الهمجية الشرقية، التي يمثلها بطبيعة الحال - العرب عامة والفلسطينيون خاصة؛ ولذا فعلاقة اليهود بالأغيار (غير الساميين) لا تتسم بالمودة أو التعاون ، إذا أن الأغيار " ذئاب " وقتلة يتربصون دائما باليهود ويحاولون الفتك بهم، والعرب هم كلهم من الأغيار^(٢).

إن فكرة " النقاء العنصري " عند اليهود لم تعد تصمد أمام الدراسات البيولوجية " العضوية " والسيكولوجية " النفسية " الحديثة، قال الدكتور حسن ظاظا (من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - الوقوف على شعب أو أمة واحدة لا

(١) الاتجاهات التعصبية، د/ معز سيد عبد الله، ص ٢٤٠، ة بتصرف .

(٢) العربي الفلسطيني في الفكر الصهيوني، لعبد الوهاب المسير، ص ١٤١، بتصرف.

توجد فروق بين أبنائها في أي خاصية من الخصائص الجسمية أو النفسية بالشكل الذي يزعمه الفكر الصهيوني، فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية اندمج فيها في كل العصور أشخاص من أجناس متباينة، وكان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر، من اليهود الأحباش " الفلاشة " إلى يهود الأشكناز " من الجنس الجرمانى " إلى التاميل " اليهود الأفارقة الزوج " إلى اليهود الهند الذين يسمون بنو إسرائيل، واليهود الخزر الذين ينتمون إلى الجنس التركي، فهل هناك من هذه الأنواع الإسرائيلية نوع يعتبر من ناحية التشريع والتحليل ممثلاً حقيقياً ونقياً للجنس اليهودي ؟، إن الإجابة إنه من المستحيل ذلك في ظل الأدلة العلمية، وهذا هو مضمون الاعتقاد الصهيوني الخاطئ الذي يمثل محورا هاما للتعصب العنصري، فرغم وجود أدلة موضوعية على خطأ الفكرة يتمسك بها صاحبها لدرجة أنه لا يستطيع أن يتقبل سواها^(١).

٤- اعتقاد الصهاينة بنقاء العنصر اليهودي " ويقصد به: (إن الأفراد في جماعة معينة يختلفون عن غيرهم من أفراد الجماعات الأخرى ككل، من حيث نقائهم وراثيا، بمعنى أنهم كجماعة لم يتعرضوا لما تعرض له غيرهم من تداخل بين السلالات المختلفة، وهذا هو لب مضمون التعصب العنصري للصهيونية، لذلك تدعى نقاءها من حيث القدرات العقلية والخصائص النفسية وسائر الإمكانيات البشرية الهائلة التي يتميزون بها عن غيرهم من أبناء الأمم

(١) الشخصية الإسرائيلية، د/ حسن ظاظا، ص ٣٥، بتصرف، وينظر: الاتجاهات التعصبية، لمعز

سيد عبد الله، ص ٢٤١.

والشعوب الأخرى، مع الإيمان العميق بحقارة أمم العالم، ويتضح ذلك من خلال استخدامهم العديد من الألفاظ الكريهة والسلبية في وصفهم شعوب العالم سواء في ذلك الشعوب الإسلامية أو الشعوب المسيحية، وارتباط كل شعب منها بمجموعة من الصفات السيئة وأكبر دليل على ذلك أن تقرأ التلمود أو البروتوكولات فهم يقولون: " من ليس يهوديا ليس إنسانا ويمكن تسميته صرصورا، أو حيوانا يسير على قدميه، ويمكن تسميته غريبا أو عدوا وتدعي الصهيونية بأن اليهودية أول دين محترم أنزله الله على هذه الأرض، وأن ما عداه أديان باطلة، وأن هذه الأديان أوجدت الفرقة بين الشعوب، وإنهم بمجهوداتهم سيحطمون الأديان ويعيدون الناس إلى دينهم هم)^(١).

ثالثاً: الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية

تقوم الصهيونية المعاصرة على جانبين مهمين، جانب ديني، وجانب سياسي، وسوف نتناول هذين الجانبين في هذا المقام، بشيء من التفصيل بحسب ما يقتضيه المقام:

أ - الصهيونية الدينية: هي التي تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من أداء رسالته: (وتتفهم هذه الرسالة كتملك لأرض الميعاد، وقهر لجيرانها الأعداء، وتركيز سلطة العالم الروحية والحضارية والفكرية في صهيون، فهي فكرة قديمة، قديمة جدا، فهي أقدم من موسى وتوراته، ودلائل وجودها متوفرة

(١) المخططات التلمودية، لأنور الجندي ص ٢٢٢ .

في دين البطارقة، أي في دين العبريين أثناء وجودهم في مصر، بل وقبل دخولهم مصر .

والجانب الديني يقوم على عدة مرتكزات:

١- إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم، لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين).

٢- حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

٣- إثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

والواقع أن الصهيونية- هي لب الروح اليهودية الأصلية، فهي التي حافظت على عبرية العبريين في مصر، ومنعتهم من الانصهار في جسم الأمة المصرية، ولولاها لما كان هناك اضطهاد للعبريين من قبل المصريين، ولا كان خروجهم هرباً من ذلك الاضطهاد^(١).

ب: الصهيونية السياسية: هي التي تهدف إلى جمع اليهود ولم شملهم، وتهجيرهم إلى فلسطين؛ (لتأسيس دولة يهودية فيها تدين بالدين اليهودي وتتميز بالعنصر اليهودي وبالثقافة اليهودية، وبإرادة بعث مملكة داود، نشأت في أواسط القرن التاسع عشر على يد والدها وزعيمها الأول " تيودور هرتزل.

والجانب السياسي: يقوم على عدة مرتكزات:

(١) أصول الصهيونية في الدين اليهودي، د/ إسماعيل راجي الفاروقي، ص ٧-٣٥.

١- محاولة تهويد فلسطين، أي جعلها يهودية داخلياً؛ وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكني؛ وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين، وهي عبارة عن مجتمعات سكنية حديثة كاملة المرافق تمولها الصهيونية من تبرعات اليهود والدول الموالية لهم في العالم، وتوظيف الكيان اليهودي الناشئ في فلسطين سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

٢- تدويل الكيان الإسرائيلي في فلسطين عالمياً؛ وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل في فلسطين وشرعيتها، وضمان تحقيق الحماية الدولية لها، وفرضها على العالم، وعلى المسلمين على وجه الخصوص؛ لذلك نجد أن الصهيونية تقوم بدور رئيس في دفع أمريكا وروسيا وأكثر الدول في أوروبا لحماية إسرائيل سياسياً وعسكرياً ودعمها اقتصادياً وبشرياً، فبالرغم من أن شعوب هذه الدول تكره اليهود بحق إلا أنها لا تزال تحمي دولة إسرائيل وتدعمها، وما ذلك إلا بتأثير الصهيونية الواضح.

٣- متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالمية السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلامياً وتمويلها اقتصادياً، ودعمها سياسياً.

٤- توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفرادا وجماعات ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة؛ لخدمة اليهود وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم^(١).

(١) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، لناصر القفاري، وناصر العقل، ص ١٣٢، والموسوعة الميسرة في الأديان للندوة العالمية للشباب الاسلامي ١/٥٢٩ .

رابعاً: معتقدات الحركة الصهيونية العالمية

الصهيونية حركة يهودية تلتقي مع اليهود في العقيدة، وتستمد فكرها ومعتقداتها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها في (بروتوكولات حكماء صهيون).

ومن تلك المعتقدات والأفكار ما يلي:

١_ الصهيونية تعد جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية.

٢_ يهدفون إلى إقامة حكومتهم، وإلى سيطرة اليهود على جميع العالم كما وعدهم إلههم (يهوه).

٣_ الإله الخاص باليهود اسمه (يَهوه).

٤_ إنكار البعث والجزاء، والجنة والنار.

٥_ يرون أن أقوم السبل لحكم العالم هو إقامة الحكم على التخويف والعنف.

٦_ يقولون: لابد من انحراف الأمميين في الرذائل بتدبيرنا عن طريق تهيئتهم لذلك من أساتذة وخدم، وحاضنات وملاهي.

٧_ يقولون: يجب أن نستخدم الرشوة، والخديعة، والخيانة ما دامت تحقق مآربنا.

٨_ يقولون: يجب أن نعمل على بث الفرع الذي يضمن لنا الطاعة العمياء، ويكفي أن يشتهر عنا أننا أصحاب بأس شديد؛ ليزوب كل تمرد وعصيان.

٩_ يقولون: ننادي بشعارات (الحرية _ المساواة _ الإخاء) لينخدع الناس بها، ويهتفوا لها، وينساقوا وراء ما نريد.

١٠_ يقولون: سنعمل على دفع الزعماء إلى قبضتنا، وسيكون تعيينهم واختيارهم حسب وفرة أنصبتهم من الأخلاق الدنيئة.

١١_ يقولون: سنسيطر على الصحافة تلك القوة الفعالة التي توجه العالم نحو ما نريد.

١٢_ يقولون: لابد أن نهدم دولة الإيمان من قلوب الشعوب، وننزع من عقولهم فكرة وجود الله، ونحل محلها قوانين رياضية مادية؛ لأن الشعب يحيا سعيداً هانئاً تحت رعاية دولة الإيمان، ولكي لا ندع للناس فرصة المراجعة يجب أن نشغلهم بشتى الوسائل، وبذلك لا يفتنون لعدوهم العام في الصراع العالمي.

١٣_ سنكثر من إشاعة المتناقضات، ونلهب الشهوات، ونؤجج العواطف.

١٤_ يقولون: نحن الذين وضعنا طريقة التصويت، ونظام الأغلبية المطلقة؛ ليصل الحكم كل من نريد بعد أن نكون قد هيأنا الرأي العام للتصويت عليهم.

١٥_ سنفك الأسرة، وننفخ روح الذاتية في كل فرد.

١٦_ يقولون: الحكام أعجز من أن يعصوا أوامرنا؛ لأنهم يدركون أن السجن، أو الاختفاء من الوجود مصير المتمرد منهم.

١٧_ لا يصل إلى الحكم إلا أصحاب الصفائف السود غير المكشوفة، وهؤلاء سيكونون أمناء على تنفيذ أوامرنا؛ خشية الفضيحة والتشهير، كما نقوم بصنع الزعامات، وإضفاء العظمة والبطولة عليها.

١٨_ ستكون دور النشر بأيدينا، وكل دار تخالف فكرنا سنعمل على إغلاقها باسم القانون.

١٩_ سيكون لنا مجلات وصحف كثيرة مختلفة النزعات، والمبادئ، وكلها تخدم أهدافنا.

٢٠_ لابد أن نشغل غيرنا بألوان خلافة من الملاهي، والألعاب، والمنتديات العامة، والفنون، والجنس، والمخدرات؛ لتلهيهم عن مخالفتنا، أو التعرض لمخططاتنا.

٢١_ سنكثر من المحافل الماسونية، وننشرها في كل وسط لتوسيع نطاق سيطرتنا.

٢٢_ سنعمل على محو كل ما هو جماعي، وسنبداً بمرحلة تغيير الجامعات، وسنعيد تأسيسها حسب مخططاتنا.

٢٣_ عندما تصبح السلطة بأيدينا لن نسمح بوجود دين على الأرض غير ديننا (١).

خامساً: العلو الكبير للصهيونية العالمية في عصرنا

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الصهيونية العالمية هي التي عملت على إقامة دولة الكيان الصهيوني في أرض فلسطين، وكان الدافع لذلك عدة أسباب، ذكرها الدكتور المسيري وهي:

(أ) اليهود شعب عضوي منبوذ غير نافع، يجب نقله خارج أوروبا؛ ليتحوّل إلى شعب عضوي نافع.

(١) رسائل في الأديان، لمحمد بن إبراهيم الحمد، ص ٦٥، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة عجاج نويهص، ص ٢٣.

ب) يُنقل هذا الشعب إلى أي بقعة خارج أوروبا، استقر الرأي، في نهاية الأمر على فلسطين؛ بسبب أهميتها الاستراتيجية للحضارة الغربية؛ وبسبب مقدرتها التعبوية بالنسبة للمادة البشرية المستهدفة، ليُوطنَ فيها وليحل محل سكانها الأصليين، الذين لا بد أن تتم إبادتهم أو طردهم على الأقل، كما هو الحال مع التجارب الاستعمارية الاستيطانية الاحتلالية المماثلة.

ج) يتم توظيف هذا الشعب لصالح العالم الغربي الذي سيقوم بدعمه وضمان بقاءه واستمراره، داخل إطار الدولة الوظيفية في فلسطين.

وهذه الصيغة الشاملة لم يُفصح عنها أحد بشكل مباشر، إلا بعض المتطرفين في بعض لحظات الصدق النادرة. ولكن عدم الإفصاح عنها لا يعني غيابها، فهي تشكل هيكل المشروع الصهيوني والبنية الفكرية التي أدرك الصهاينة الواقع من خلالها" (١).

ومن يقرأ الواقع يتبين له أن الصهاينة في عصرنا يعيشون فترة علوٍ استثنائية، فقد نكلوا بإخواننا في قطاع غزة على مدار عامين كاملين، وقد حدث ذلك على مرأى ومسمع من إخوانهم من العرب والمسلمين، والذين اكتفى الكثير منهم بمشاهدة ما حصل لإخوانهم، وربما تأمر البعض منهم مع الصهاينة ضد إخوانهم، والكثير من العرب والمسلمين، بين عاجز ومتآمر. وهذا الاستعلاء الاستثنائي إنما هو استدراج وإملاء وإمهال من الله تعالى للصهاينة، وهو في الوقت نفسه امتحان للمسلمين وعقوبة لهم.

(١) موسوعة اليهودية والنصرانية لعبد الوهاب المسيري (١٦ / ١٤)

والصهاينة قد حققوا الكثير من أهدافهم التي وضعوها، والواقع يشهد بذلك، وإنما حققوا ذلك؛ بسبب أخذهم بالأسباب، وانغماس كثير من المسلمين في الشهوات، وركون كثير من المسلمين، للحياة الدنيا، وتركهم لفريضة الجهاد في سبيل الله تعالى، وتخلى أمة الإسلام عن مهمتها في قيادة البشرية.

سادسا: خطر الصهيونية العالمية على الأمتين العربية والإسلامية

تهدف الحركة الصهيونية المعاصرة إلى السيطرة على العالمين العربي والإسلامي؛ لأنها تحملان الإسلام الدين الذي لا يرتضيه الصهاينة ولا يرغبون فيه؛ ولأن العالم العربي والإسلامي، ويوصفهما ملتقى القارات، وبهما معظم الطاقات والثروات، وبذلك تكون الصهيونية المعاصرة تشكل خطرا وجوديا على الأمتين العربية والإسلامية، والصهاينة لا يخفون ذلك، والأحداث الأخيرة التي تلت طوفان الأقصى، فقد عبروا عن رغبتهم في إقامة دولتهم الكبرى، والتي تمتد حدودها من النيل إلى الفرات.

ويشتد خطر الصهيونية، بصفة خاصة على القضية الفلسطينية، وقد اختارت الصهيونية العالمية أرض فلسطين لتكون وطنا يتجمع في اليهود؛ لمكانتها الدينية عند اليهود، وقد قال قادة اليهود: (إن هدفنا عظيم ومقدس، ونجاحه مؤكد، ولقد حان وقت جعل بيت المقدس مكان عبادة لكل الأمم والشعوب، وسترتفع راية التوحيد اليهودي خفاقة في أكثر الشواطئ بعدا، فلننتفع من كل

الظروف، قدرتنا عظيمة، فتعلموا استخدامها من أجل هدفنا مم تخافون؟ اليوم الذي يمتلك فيه أبناء إسرائيل كل ثروات العالم وموارده ليس بعيد . !! (١).

كما أن من أسباب اختيار الصهيونية العالمية لأرض فلسطين بسبب موقعها الجغرافي الهام، قال الدكتور عبد الوهاب المسيري: (فلسطين ليست معروفة بثرواتها الطبيعية، وهي صغيرة الرقعة، وأرضها ليست خصبة، فهي ليست في ثراء ولا خصوبة أو غندا التي وقع عليها الاختيار في بادئ الأمر لتكون الوطن اليهودي الجديد ثم عدل عنها، وموقع فلسطين هو الذي جعلها ضحية مباشرة للاغتصاب الاستعماري الغربي ثم الصهيوني. وقد قال نابليون: "إن من يسيطر في المعركة على تقاطع الطرق يصبح سيد الأرض"، وفلسطين التي تطل على البحر المتوسط والأحمر وقناة السويس، والتي تقسم العالم العربي الى قسمين وتقع على نقطة الالتقاء بين آسيا وأفريقيا، هي ولا شك موقع ممتاز لإقامة قاعدة لخدمة مصالح الاستعمار الغربي؛ ليفرض إرادته وهيمنته. وبالفعل، لا يمكن أن نرى الدولة الصهيونية إلا باعتبارها معسكراً كبيراً يخضع أساساً للاعتبارات الاستراتيجية العسكرية وليس للاعتبارات الاقتصادية.

وينطبق الشيء نفسه على الاستيطان الصهيوني ككل فهو مشروع عسكري بالدرجة الأولى، وهو كذلك الهدف الكامن وراء كل مستوطنة على حدة، فهي كيان صهيوني مصغر في طبيعة بنائها ونوعية اعمال مستوطنيتها أنفسهم وموقعها (وبخاصة قبل عام ١٩٤٨). فهندسة بناء المستوطنات وطبيعة

(١)حكومة العالم الخفية، لشريب سبريد وفيتش صد١٦٩ بتصرف، وانظر بتوسع مكايد اليهودية، ص٢١٨ - ٢٣٦.

تنظيمها الداخلي آنذاك تكشف عن أغراض هي أقرب ما تكون الى الطبيعة العسكرية البحتة، إذ كان يخطط لبناء المستوطنات في أماكن يسهل الدفاع عنها كرؤوس التلال والهضاب وعلى مشارف الوديان والممرات. وليس من قبيل الصدفة أن تكون اول مستوطنة صهيونية في فلسطين (عام ١٨٦٨) قد أقيمت على جبل الكرمل المشرف على حيفا. وأن تكون معظم المستوطنات التي انشئت بعد ذلك، خلال فترة الاستعمار البريطاني، قد انشئت على مفارق الطرق، وعلى المرتفعات المشرفة على أماكن التجمعات العربية في المدن والقرى، وعلى الطريق بين يافا والقدس.

وليس غريباً أن نجد ان العسكريين البريطانيين هم الذين اختاروا في بداية الأمر كل المستوطنات الأولى، وليس غريباً أن نجد كذلك أن مواقع بعض المستوطنات الزراعية في ذلك الوقت لا تؤهلها للزراعة، والموقع الدقيق للمباني والمنشآت وجميع المرافق في كل مستوطنة جديدة كانت تقرر اختياره هيئة أركان الهاجاناه، بغية تأمين الترتيب الأفضل للهجوم والدفاع.

وقد كان الفلاحون العرب يسمون هذه المستوطنات (القلاع)، وكانوا محقين تماماً في تسميتهم هذه، فكل مستعمرة صممت لتكون بمنزلة قلعة حصينة قادرة على الدفاع عن نفسها وعن المستعمرات المجاورة ايضاً، ويعتبر هذا التصميم تطبيقاً للتشكيل العسكري الروماني المعروف باسم (الدفاع على شكل أضلاع مغلقة) حيث كانت كل مستعمرة تقوم بتوفير الاحتياجات الأساسية لأعضائها ذاتياً.

ورغم أن المستوطنات كانت مستوطنات زراعية إلا أن الزراعة الاستيطانية لا علاقة لها بالاستثمار الزراعي، فالموقع وليس التربة هو العنصر الذي يتم على أساسه الاختيار. ولذا فنحن نسميها (الزراعة المسلحة).

وكان المستوطنون يقيمون مستوطناتهم الزراعية على طريقة السور والبرج، فكانوا يأتون بألواح جاهزة وبرج مراقبة وسياج وخيام على أن تنقل كلها خلسة في ليلة واحدة بمساعدة مئات المستوطنين ويحيطون الأرض العربية المغتصبة بسور من الأسلاك الشائكة ثم يبنون برج مراقبة مزوداً بالأسلحة. وفي الصباح تكون المستوطنة الجديدة جاهزة، وقادرة على صد (الإرهابيين) العرب الذين اغتصبت ارضهم اثناء الليل. ثم تبدأ عملية الزراعة والقتال.

وكانت كل مستعمرة تتخذ موقعها ضمن إقليم عربي لتخترق تماسكه تجانسه وأمنه وفي دفاعها عن (أمنها) تدخل حالة صراع مع المجتمع المحيط بها وتستولي على مزيد من الأرض^(١).

فالصهيونية تشكل خطراً كبيراً على القضية الفلسطينية، حيث كانت السبب الرئيسي للاحتلال الإسرائيلي لفلسطين، مما أدى إلى تهجير ملايين الفلسطينيين وتدمير أراضيهم واقتصادهم. كما تروج الصهيونية للتمييز العنصري ضد الفلسطينيين، وتعتبرهم "أقلية" في أرضهم، وتدعو إلى التوسع الاستيطاني الإسرائيلي في فلسطين، مما يؤدي إلى تدمير الأراضي الفلسطينية وتشريد المزيد من الفلسطينيين.

(١) الصهيونية والعنف، لعبد الوهاب المسيري ص: ١٤٢، باختصار تصرف.

والصهيونية تشكل خطرا على الأمن والسلم العالمي، فالصهيونية من أسباب حصول التوترات والنزاعات بين الدول الكبرى، مما يؤدي إلى حروب وصراعات بشكل متواصل، كما أنها تمتلك أسلحة نووية، وترفض الانضمام إلى منظمة حظر الأسلحة النووية، ويمكنها استخدام هذه الاسلحة في أي نزاع قد يحصل في منطقة الشرق الأوسط، مما قد يسبب كارثة غير مسبوقة في المنطقة. فخطر الصهيونية المعاصرة خطر عابر للحدود؛ لهذا يجب على العالم أن يقف أمام هذا الخطر الداهم وأن يعمل على تحجيمه والقضاء عليه.

سابعا: واجبات المسلمين تجاه خطر الصهيونية العالمية

هذه واجبات عملية أذكرها في نقاط، فيها بيان واجبات المسلمين كأفراد وشعوب تجاه الخطر الصهيوني المعاصر:

١- أن يعمل المسلمون على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم، شعوبا وجماعات، على وحدة الصف الإسلامي، وترك الخلافات البينية، وأن يدعموا كل الجهود الرامية لتحقيق الوحدة الإسلامية؛ وهذا المطلب أصبح ملحا، وخاصة بعد أحداث طوفان الأقصى والتي كشفت عن الأخطار المحدقة بأمة الإسلام، وأنه سبيل لهم إلى مواجهتها إلا بوحدتهم ولم شملهم، وهذا مطلب كل عاقل من المسلمين.

٢- كما يجب على المسلمين إعداد العدة لمواجهة الأخطار المحدقة بهم من قبل الصهيونية المعاصرة، من خلال تعزيز الوعي بأهمية اعداد القوة اللازمة لمواجهة هذه المخاطر، والعمل على تطوير قدراتهم العسكرية والتقنية، وأن يدعموا الاقتصاد الإسلامي، وان يعززوا الاكتفاء الذاتي فيما بينهم.

٣- يجب على جميع المسلمين فهم طبيعة الصراع مع الصهيونية، وبيان أنه صراع ديني وعقدي في الدرجة الاساسية، وأن يعززوا الوعي بأهمية عقيدتهم الإسلامية في هذه المواجهة، وأن يدعموا كل الجهود الرامية لنشر هذه العقيدة والتعريف بها في ربوع العالم الاسلامي.

٤- يجب على كل الحكومات العربية والاسلامية أن تراجع سياساتها المخالفة للإسلام، والتي انتهجتها كثير من تلك الدول؛ لإرضاء الصهيونية ومن يدعمها، وأن تسخر تلك الدول كل إمكانياتها؛ لترسيخ معاني الإسلام في أوساط أبناء المسلمين، وأن تدعم تلك الدول المؤسسات التعليمية والدينية في بلدانهم.

٥- كما يجب على الدول العربية والاسلامية ألا تخضع للضغوطات التي يمارسها عليها أعداء الله، من الدول الداعمة للصهيونية من مختلف البلدان والأقطار، وأن يعززوا الصمود والثبات أمام هذه التحديات، وأن يدعموا الجهود الرامية لمقاومة التطبيع مع الصهيونية.

٦- يجب على العرب والمسلمين أن يعززوا الوعي بأهمية القضية الفلسطينية، وأن يبينوا لشعوبهم أنها قضية محورية في صراعهم مع الصهيونية العالمية، وأن يستعدوا للمعركة القادمة والفاصلة بين المسلمين واليهود الذين يتوافدون على الأرض المباركة، قد أخبر عنها صلى الله عليه وسلم بقوله: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر).

نتمنى من حكوماتنا العربية والاسلامية أن تفيق من سباتها العميق، وأن تتنبه الى المخاطر المحدقة بها، من قبل الصهيونية العالمية وغيرها، وأن يضعوا أيديهم في أيدي أبناء شعوبهم، لمواجهة هذا المكر الصهيوني الصليبي العالمي المحقق بهم.

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

فهرس الكتاب

٣	من الذكر الحكيم
٤	الإهداء
٦	تقديم الدكتور مكين عبده غالب سعيد
٨	تقديم الأستاذ ابو صلاح الدين مرشد المزحاني
١١	المقدمة
١٣	المبحث الأول: الجذور التاريخية للعداء بين اليهودية والنصرانية
١٤	أولاً: إيذاء اليهود لعيسى بن مريم عليه السلام
١٨	ثانياً: اتهام اليهود لمريم بالزنا
٢١	ثالثاً: مكانة عيسى عليه السلام وأمه في القرآن الكريم
٢٤	رابعاً: موقف اليهود من دعوة عيسى عليه السلام
٢٦	خامساً: محاولة اليهود قتل عيسى عليه السلام
٣١	سادساً: موقف اليهود من أتباع عيسى عليه السلام
٣٤	سابعاً: النصارى يبرؤون اليهود من دم المسيح
٤٠	المبحث الثاني: المراحل التاريخية التي مرت بها الحركة الصهيونية
٤٢	المرحلة الأولى: مرحلة القس بولس الرسول
٤٢	أولاً: مولد بولس الرسول
٤٥	ثانياً: بولس والتحول العجيب
٤٧	ثالثاً: اليهودي لا يغير دينه
٤٩	رابعاً: التحريفات التي أدخلها بولس على الديانة النصرانية

- خامساً: ما بذره بولس في الديانة النصرانية ٥١
- المرحلة الثانية: مرحلة القس مارتن لوثر** ٥٤
- أولاً: الصراع اليهودي النصراني ٥٥
- ثانياً: تهويد النصرانية ٥٧
- ثالثاً: بين الصهيونية والنصرانية ٥٩
- رابعاً: دعم النصارى البروتستانت للصهاينة ٦٠
- خامساً: نتائج حركة الإصلاح الديني في النصرانية ٦٢
- سادساً: هجرة النصارى البروتستانت إلى أمريكا ٦٣
- سابعاً: هجرة اليهود إلى أمريكا ٦٥
- المرحلة الثالثة: مرحلة تيودور هرتزل** ٦٨
- أولاً: مولد هرتزل ٦٨
- ثانياً: التأسيس للحركة الصهيونية المعاصرة ٧١
- ثالثاً: أهم نتائج مؤتمر بال ٧٢
- رابعاً: القرارات السرية والعلنية في مؤتمر بال ٧٤
- خامساً: مرحلة ما بعد مؤتمر بال ٧٥
- سادساً: إقامة الدولة الصهيونية ٧٧
- المرحلة الرابعة: مرحلة التبني الأمريكي للصهيونية** ٨٤
- أولاً: الدعم الأمريكي لدولة الكيان الصهيوني ٨١
- ثانياً: خطر الصهيونية على أمريكا ٩٢

المبحث الثالث: خطر الصهيونية العالمية	١٠٠
أولاً: تعريف الصهيونية	١٠٠
ثانياً: الأسس الفكرية للحركة الصهيونية	١٠٤
ثالثاً: الصهيونية الدينية والصهيونية السياسية	١١٥
رابعاً: معتقدات الحركة الصهيونية العالمية	١١٨
خامساً: العلو الكبير للصهيونية العالمية في عصرنا	١٢٠
سادساً: خطر الصهيونية العالمية على الأمتين العربية والإسلامية	١٢٢
سابعاً: واجبات المسلمين تجاه خطر الصهيونية العالمية	١٢٦
فهرس الكتاب	١٢٩